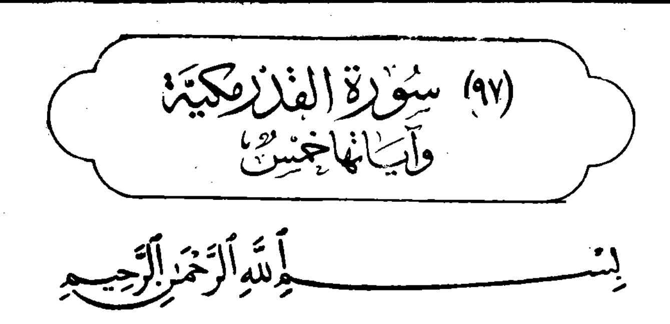


إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ وفيه مسائل:

﴿ المسألة الأولى ﴾ أجمع المفسرون على أن المراد: إنا أنزلنا القرآن فى ليلة القدر ، ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر ، لأن هذا التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة أوجه (أحدها) أنه أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره (والثانى) أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر . شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح ، ألا ترى أنه فى السورة المتقدمة لم يذكر اسم أبى جهل ولم يخف على أحد لاشتهاره ، وقوله (فلولا إذا بلغت الحلقوم) لم يذكر الموت لشهرته ، فكذا ههنا (والثالث) تعظيم الوقت الذى أنزل فيه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أنه تعالى قال فى بعض المواضع (إنى) كقوله (إنى جاعل فى الأرض خليفة) وفى بعض المواضع (إنا) كقوله (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) . (إنا نحن نزلنا الذكر) ، (إنا أرسلنا نوحاً) ، (إنا أعطيناك الكوثر) . واعلم أن قوله (إنا) تارة يراد به التعظيم ، وحمله على الجمع محال لأن الدلائل دلت على وحدة الصانع ، ولأنه لو كان فى الآلهة كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الإلهية ، لأنه لو كان كل واحد منهم قادراً على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم عن كل واحد منهم ، وكونه مستغنى عنه نقص فى حقه فيكون الكل ناقصاً ، وإن لم يكن كل واحد منهم قادراً على الكمال كان ناقصاً ، فعلمنا أن قوله (إنا) محمول على التعظيم لا على الجمع .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ إن قيل ما معنى إنه أنزل فى ليلة القدر ، مع العلم بأنه أنزل نجوماً ؟ قلنا فيه وجوه: (أحدها) قال الشعبى ابتداء بإنزاله ليلة القدر لأن البعث كان فى رمضان (والثانى) قال ابن عباس أنزل إلى سماء الدنيا جملة ليلة القدر ، ثم إلى الأرض نجوماً ، كما قال (فلا أقسم بمواقع النجوم) وقد ذكرنا هذه المسألة فى قوله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) لا يقال: فعلى هذا القول لم لم يقل أنزلناه إلى السماء ؟ لأن إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض ، لأنا نقول إن إنزاله إلى السماء كإنزاله إلى الأرض ، لأنه لم يكن ليشرع فى أمر ثم لا يتمه ، وهو كغائب جاء إلى نواحى البلد

يقال جاء فلان ، أو يقال الغرض من تقريبه و إنزاله إلى سماء الدنيا أن يشوقهم إلى نزوله كمن يسمع الخبر بمجيء منشور لوالده أو أمه ، فانه يزداد شوقه إلى مطالعته كما قال :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

وهذا لأن السماء كالمشترك بيننا وبين الملائكة ، فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة ، كما قال : (وجعلنا السماء سقفاً) فإنزاله القرآن هناك كإنزاله ههنا (والوجه الثالث فى الجواب) أن التقدير أنزلنا هذا الذكر (فى ليلة القدر) أى فى فضيلة ليلة القدر وبيان شرفها .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ القدر مصدر قدرت أقدر قدراً ، والمراد به ما يمضيه الله من الأمور ، قال (إنا كل شيء خلقناه بقدر) والقدر ، والقدر واحد إلا أنه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم ، قال الواحدى القدر فى اللغة بمعنى التقدير ، وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان ، واختلفوا فى أنه لم سميت هذه الليلة ليلة القدر ، على وجوه (أحدها) أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام ، قال عطاء عن ابن عباس أن الله قدر ما يكون فى كل تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية ، ونظيره قوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) واعلم أن تقدير الله لا يحدث فى تلك الليلة ، فإنه تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض فى الأزل ، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة فى تلك الليلة بأن يكتبها فى اللوح المحفوظ ، وهذا القول اختيار عامة العلماء (الثانى) نقل عن الزهرى أنه قال (ليلة القدر) ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان ، أى منزلة وشرف ، ويدل عليه قوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ثم هذا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يرجع ذلك إلى الفاعل أى من أتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف (وثانيهما) إلى الفعل أى الطاعات لها فى تلك الليلة قدر زائد وشرف زائد ، وعن أبى بكر الوراق سميت (ليلة القدر) لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، على لسان ملك ذى قدر ، على أمة لها قدر ، ولعل الله تعالى إنما ذكر لفظة القدر فى هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب .

﴿ والقول الثالث ﴾ ليلة القدر ، أى الضيق فإن الأرض تضيق عن الملائكة .

﴿ المسألة الخامسة ﴾ أنه تعالى أخفى هذه الليلة لوجوه (أحدها) أنه تعالى أخفاها ، كما أخفى سائر الأشياء ، فإنه أخفى رضاه فى الطاعات ، حتى يرغبوا فى الكل ، وأخفى غضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل ، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل ، وأخفى الإجابة فى الدعاء ليبالغوا فى كل الدعوات ، وأخفى الإسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء ، وأخفى فى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل ، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة ، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالى رمضان (وثانيها) كأنه تعالى يقول : لو عينت ليلة القدر ، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية ، فربما دعتك الشهوة فى

تلك الليلة إلى المعصية ، فوقعت فى الذنب ، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك ، فلهذا السبب أخفيتها عليك ، روى أنه عليه السلام دخل المسجد فرأى نائماً ، فقال يا على نبهه ليتوضأ ، فأيقظه على ، ثم قال على يارسول الله إنك سباق إلى الخيرات ، فلم لم تنبهه ؟ قال : لأن رده عليك ليس بكفر ، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو أبى ، فإذا كان هذا رحمة الرسول ، فقس عليه رحمة الرب تعالى ، فكأنه تعالى يقول : إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر ، وإن عصيت فيها اكتسب عقاب ألف شهر ، ودفع العقاب أولى من جلب الثواب (وثالثها) أنى أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف فى طلبها ، فيكتسب ثواب الاجتهاد (ورابعها) أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر ، فإنه يجتهد فى الطاعة فى جميع ليالى رمضان ، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هى ليلة القدر ، فيباهى الله تعالى بهم ملائكته ، ويقول : كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء . فهذا جده واجتهاده فى الليلة المظنونة ، فكيف لو جعلتها معلومة له ! فحينئذ يظهر سر قوله : (إنى أعلم مالا تعلمون) .

﴿ المسألة السادسة ﴾ اختلفوا فى أن هذه الليلة هل تستتبع اليوم ؟ قال الشعبى نعم يومها كليلتها ، ولعل الوجه فيه أن ذكر الليالى يستتبع الأيام ، ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين ألزمناه بيوميهما قال تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) أى اليوم يخلف ليلته وبالضد .

﴿ المسألة السابعة ﴾ هذه الليلة هل هى باقية ؟ قال الخليل : من قال إن فضلها لنزول القرآن فيها يقول انقطعت وكانت مرة ، والجمهور على أنها باقية ، وعلى هذا هل هى مختصة برمضان أم لا ؟ روى عن ابن مسعود أنه قال : من يقم الحول يصبها ، وفسرها عكرمة بليلة البراءة فى قوله (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة)والجمهور على أنها مختصة برمضان واحتجوا عليه بقول تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) وقال(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) فوجب أن تكون ليلة القدر فى رمضان لئلا يلزم التناقض ، وعلى هذا القول اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال ، فقال ابن رزين ليلة القدر هى الليلة الأولى من رمضان ، وقال الحسن البصرى السابعة عشرة ، وعن أنس مرفوعاً التاسعة عشرة ، وقال محمد بن إسحق الحادية والعشرون . وعن ابن عباس الثالثة والعشرون ، وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون ، وقال أبو ذر الغفارى الخامسة والعشرون ، وقال أبى بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ، وقال بعضهم التاسعة والعشرون . أما الذين قالوا إنها الليلة الأولى [فقد] قالوا : روى وهب أن صحف إبراهيم أنزلت فى الليلة الأولى من رمضان والتوراة لست ليال مضين من رمضان بعد صحف إبراهيم بسبعمائة سنة ، وأنزل الزبور على داود لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وأنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاماً ، وكان القرآن ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة قدر من السنة إلى السنة كان جبريل عليه السلام ينزل به من بيت العزة من السماء

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

السابعة إلى سماء الدنيا ، فأنزل الله تعالى القرآن فى عشرين شهراً فى عشرين سنة ، فلما كان هذا الشهر هو الشهر الذى حصلت فيه هذه الخيرات العظيمة ، لاجرم كان فى غاية الشرف والقدر والرتبة فكانت الليلة الأولى منه ليلة القدر ، وأما الحسن البصرى فانه قال هى ليلة سبعة عشر ، لأنها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر ، وأما التاسعة عشرة فقد روى أنس فيها خبراً ، وأما ليلة السابع والعشرين فقد مال الشافعى إليه لحديث الماء والطين ، والذى عليه المعظم أنها ليلة السابع والعشرين ، وذكروا فيه أمارات ضعيفة (أحدها) حديث ابن عباس أن السورة ثلاثون كلمة ، وقوله (هى) هى السابعة والعشرون منها (وثانيها) روى أن عمر سأل الصحابة ثم قال لابن عباس غص ياغواص فقال زيد بن ثابت أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا . فقال عمر : لعلك تقول إن هذا غلام ، ولكن عنده ماليس عندكم . فقال ابن عباس أحب الأعداد إلى الله تعالى الوتر أحب الوتر إليه السبعة ، فذكر السموات السبع والأرضين السبع والأسبوع ودركات النار وعدد الطواف والأعضاء السبعة ، فدل على أنها السابعة والعشرون (وثالثها) نقل أيضاً عن ابن عباس ، أنه قال (ليلة القدر) تسعة أحرف ، وهو مذكور ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين (ورابعها) أنه كان لعثمان بن أبى العاص غلام ، فقال يامولاى إن البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر ، قال : إذا كانت تلك الليلة ، فأعلمنى فإذا هى السابعة والعشرون من رمضان . وأما من قال إنها الليلة الأخيرة قال لأنها هى الليلة التى تتم فيها طاعات هذا الشهر ، بل أول رمضان كآدم وآخره كمحمد ، ولذلك روى فى الحديث ، يعتق فى آخر رمضان بعدد ما أعتق من أول الشهر ، بل الليلة الأولى كمن ولد له ذكر ، فهى ليلة شكر ، والأخيرة ليلة الفراق ، كمن مات له ولد ، فهى ليلة صبر ، وقد علمت فرق ما بين الصبر والشكر .

ثم قال تعالى ﴿وما أدراك ماليلة القدر﴾ يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ، ثم إنه تعالى بين فضيلتها من ثلاثة أوجه :

(الأول) قوله تعالى ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ وفيه مسائل :

﴿المسألة الأولى﴾ فى تفسير الآية وجوه (أحدها) أن العبادة فيها (خير من ألف شهر) ليس فيها هذه الليلة ، لأنه كالمستحيل أن يقال إنها (خير من ألف شهر) فيها هذه الليلة ، وإنما كان كذلك لما يزيد الله فيها من المنافع والأرزاق وأنواع الخير (وثانيها) قال مجاهد : كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسى فعل ذلك ألف شهر ، فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، أى ليلة القدر لأمتك خير من ألف شهر لذلك الإسرائيلى الذى حمل السلاح ألف شهر (وثالثها) قال مالك بن أنس : أرى

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعمار الناس ، فاستقصر أعمار أمته ، وخاف أن لا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغه سائر الأمم ، فأعطاه الله ليلة القدر وهى خير من ألف شهر لسائر الأمم (ورابعها) روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن ، قال : قلت للحسن ابن على عليه السلام يامسود وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له يعنى معاوية ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى فى منامه بنى أمية يطئون منبره واحداً بعد واحد ، وفى رواية ينزون على منبره نزو القردة ، فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) إلى قوله (خير من ألف شهر) يعنى ملك بنى أمية قال القاسم فحسبنا ملك بنى أمية ، فإذا هو ألف شهر . طعن القاضى فى هذه الوجوه فقال ماذكر من (ألف شهر) فى أيام بنى أمية بعيد ، لأنه تعالى لا يذكر فضلها بذكر ألف شهر مذمومة ، وأيام بنى أمية كانت مذمومة .

واعلم أن هذا الطعن ضعيف ، وذلك لأن أيام بنى أمية كانت أياماً عظيمة بحسب السعادات الدنيوية ، فلا يمتنع أن يقول الله إنى : أعطيتك ليلة هى فى السعادات الدينية أفضل من تلك السعادات الدنيوية .

﴿ المسألة الثانية ﴾ هذه الآية فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم ، أما البشارة فهى أنه تعالى ذكر أن هذه الليلة خير ، ولم يبين قدر الخيرية ، وهذا كقوله عليه السلام لمبارزة على عليه السلام مع عمرو بن عبد ود [العامرى] أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة ، فلم يقل مثل عمله بل قال أفضل كأنه يقول حسبك هذا من الوزن والباقى جزاف .

واعلم أن من أحياها فكأنما عبد الله تعالى نيفاً وثمانين سنة ، ومن أحياها كل سنة فكأنه رزق أعماراً كثيرة ، ومن أحيا الشهر لينالها بيقين فكأنه أحيا ثلاثين قدراً ، يروى أنه يجاء يوم القيامة بالإسرائيلى الذى عبد الله أربعمائة سنة ، ويجاء برجل من هذه الأمة ، وقد عبد الله أربعين سنة فيكون ثوابه أكثر ، فيقول الإسرائيلى أنت العدل ، وأرى ثوابه أكثر ، فيقول لأنكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون ، وأمة محمد كانوا آمنين لقوله (وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم) ثم إنهم كانوا يعبدون ، فلهذا السبب كانت عبادتهم أكثر ثواباً ، وأما التهديد فهو أنه تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول فى النار ، وأن إحياء مائة ليلة من القدر لا يخلصه عن ذلك العذاب المستحق بتطفيف حبة واحدة ، فلهذا فيه إشارة إلى تعظيم حال الذنب والمعصية .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ لقائل أن يقول : صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أجرك على قدر نصبك » ومن المعلوم أن الطاعة فى ألف شهر أشق من الطاعة فى ليلة واحدة ، فكيف يعقل استواؤهما ؟ (والجواب) من وجوه : (أحدها) أن الفعل الواحد قد يختلف حاله فى الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة إليه ، ألا ترى أن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بكذا درجة ، مع أن الصورة قد تنتقض فإن المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة ، وأيضاً

تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

فأنت تقول لمن يرجم : إنه إنما يرجم لأنه زان فهو قول حسن ، ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير ، ولو قلته للمحصن فهو يوجب الحد ، فقد اختلفت الأحكام في هذه المواضع ، مع أن الصورة واحدة في الكل ، بل لو قلته في حق عائشة كان كفراً ، ولذلك قال (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وذلك لأن هذا طعن في حق عائشة التي كانت رحلة في العلم ، لقوله عليه السلام « خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميراء » وطعن في صفوان مع أنه كان رجلا بدرياً ، وطعن في صفوان مع أنه كان رجلا بدرياً ، وطعن في كافة المؤمنين لأنها أم المؤمنين ، والولد حق المطالبة بقذف الأم وإن كان كافراً ، بل طعن في النبي الذي كان أشد خلق الله غيرة ، بل طعن في حكمة الله إذ لا يجوز أن يتركه حتى يتزوج بامرأة زانية ، ثم القائل بقوله : هذا زان ، فقد ظن أن هذه اللفظة سهلة مع أنها أثقل من الجبال ، فقد ثبت بهذا أن الأفعال تختلف آثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها ، فلا يبعد أن تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة (والوجه الثاني) في الجواب أن مقصود الحكيم سبحانه أن يجر الخلق إلى الطاعات فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين ، فقال (إن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً) ومرة عشراً ، ومرة سبعمائة ، وتارة بحسب الأزمنة ، وتارة بحسب الأمكنة ، والمقصود الأصلي من الكل جر المكلف إلى الطاعة وصرفه عن الاشتغال بالدنيا ، فتارة يرجح البيت وزمزم على سائر البلاد ، وتارة يفضل رمضان على سائر الشهور ، وتارة يفضل الجمعة على سائر الأيام ، وتارة يفضل ليلة القدر على سائر الليالي ، والمقصود ما ذكرناه (الوجه الثاني) من فضائل هذه الليلة .

قوله تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ وفيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ اعلم أن نظر الملائكة على الأرواح ، ونظر البشر على الأشباح ، ثم إن الملائكة لما رأوا روحك محلا للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوك . فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، وأبواك لما رأوا قبح صورتك في أول الأمر حين كنت منياً وعلقة ما قبلوك أيضاً ، بل أظهروا النفرة ، واستقذروا ذلك المني والعلقة ، وغسلوا ثيابهم عنه ، ثم كم احتالوا للاسقاط والإبطال ، ثم إنه تعالى لما أعطاك الصورة الحسنة فالأبوان لما رأوا تلك الصورة الحسنة قبلوك ومالوا إليك ، فكذا الملائكة لما رأوا في روحك الصورة الحسنة وهي معرفة الله وطاعته أحبوك فنزلوا إليك معتذرين عما قالوه أولا ، فهذا هو المراد من قوله (تنزل الملائكة) فإذا نزلوا إليك رأوا روحك في ظلمة ليل البدن ، وظلمة القوى الجسمانية فحينئذ يعتذرون عما تقدم (ويستغفرون للذين آمنوا) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ أن قوله تعالى (تنزل الملائكة) يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة ، ثم

الملائكة لهم كثرة عظيمة لاتحتمل كلهم الأرض ، فلهذا السبب اختلفوا فقال بعضهم إنها تنزل بأسرها إلى السماء الدنيا ، فإن قيل الإشكال بعد باق لأن السما مملوأة بحيث لا يوجد فيها موضع إهاب إلا وفيه ملك ، فكيف تسع الجميع سما. واحدة ؟ قلنا يقضى بعموم الكتاب على خبر الواحد ، كيف والمروى إنهم ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازل وصاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية لكن الناس بين داخل وخارج ، ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر فلذلك ذكر بلفظ (تنزل) الذى يفيد المرة بعد المرة .

﴿ والقول الثانى ﴾ وهو إختيار الأكثرين أنهم ينزلول إلى الأرض وهو الأوجه . لأن الغرض هو الترغيب فى إحياء هذه الليلة ، ولأنه دلت الأحاديث على أن الملائكة ينزلون فى سائر الأيام إلى مجالس الذكر والدين ، فلأن يحصل ذلك فى هذه الليلة مع علو شأنها أولى ، ولأن النزول المطلق لا يفيد إلا النزول من السما. إلى الأرض ، ثم اختلف من قال ينزلون إلى الأرض على وجوه : (أحدها) قال بعضهم ينزلون ليروا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم فى الطاعة (وثانيها) أن الملائكة قالوا (وما نتنزل إلا بأمر ربك) فهذا يدل على أنهم كانوا مأمورين بذلك النزول فلا يدل على غاية المحبة .

وأما هذه الآية وهو قوله (بإذن ربهم) فإنها تدل على أنهم استأذنوا أولا فأذنوا ، وذلك يدل على غاية المحبة ، لأنهم كانوا يرغبون إلينا ويتمنون لقاءنا . لكن كانوا ينتظرون الإذن ، فإن قيل قوله (وإنا لنحن الصافون) ينافى قوله (تنزل الملائكة) قلنا نصرف الحالتين إلى زمانين مختلفين و(ثالثها) أنه تعالى وعد فى الآخرة أن الملائكة (يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم) فههنا فى الدنيا إن اشتغلت بعبادتى نزلت الملائكة عليك حتى يدخلوا عليك للتسليم والزيارة ، روى عن على عليه السلام « أنهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا فمن أصابته التسليمة غفر له ذنبه » (ورابعها) أن الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة فى الاشتغال بطاعته فى الأرض فهم ينزلون إلى الأرض لتصير طاعاتهم أكثر ثواباً ، كما أن الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعاته هناك أكثر ثواباً ، وكل ذلك ترغيب للانسان فى الطاعة (وخامسها) أن الإنسان يأتى بالطاعات والخيرات عند حضور الأكابر من العلماء والزهاد أحسن مما يكون فى الخلوة ، فالله تعالى أنزل الملائكة المقربين حتى أن المكلف يعلم أنه إنما يأتى بالطاعات فى حضور أولئك العلماء العباد الزهاد فيكون أتم وعن النقصان أبعد (وسادسها) أن من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة ، عن كعب أن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلى الجنة ، فهى على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة ، وساقها فى الجنة وأغصانها تحت الكرسى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله يعبدون الله ومقام جبريل فى وسطها ، ليس فيها ملك إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل ليلة القدر ، فلا تبقى بقعة من الأرض إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لايدع أحداً من الناس إلا صافحهم . وعلامة ذلك من اقشعر جلده

بِإِذْنِ رَبِّهِم

ورق قلبه ودمعت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام ، من قال فيها ثلاث مرات لا إله إلا الله غفر له بواحدة ، ونجاه من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . وأول من يصعد جبريل حتى يصير أمام الشمس فيبسط جناحين أخضرين لا ينشرهما إلا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا ، فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام ، فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشغولين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ، ولمن صام رمضان احتساباً ، فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فيجلسون حلقاً حلقاً فتجمع إليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة ، حتى يقولوا مافعل فلان وكيف وجدتموه ؟ فيقولون وجدناه عام أول متعبداً ، وفي هذا العام مبتدعاً ، وفلان كان عام أول مبتدعا ، وهذا العام متعبداً ، فيكفون عن الدعاء الأول ، ويشتغلون بالدعاء للثاني ، ووجدنا فلاناً تالياً ، وفلاناً راكعا ، وفلاناً ساجداً ، فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا إلى السدرة . فتقول لهم السدرة : ياسكاني حدثوني عن الناس فإن لي عليكم حقاً ، وإني أحب من أحب الله ، فذكر كعب أنهم يعدون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة ، فتقول الجنة : اللهم عجلهم إلي ، والملائكة ، وأهل السدرة يقولون : آمين آمين ، إذا عرفت هذا فنقول ، كلما كان الجمع أعظم ، كان نزول الرحمة هناك أكثر ، ولذلك فإن أعظم الجموع في موقف الحج ، لاجرم كان نزول الرحمة هناك أكثر ، فكذا في ليلة القدر يحصل مجمع الملائكة المقربين ، فلاجرم كان نزل الرحمة أكثر

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكروا في الروح أقوالا (أحدها) أنه ملك عظيم ، لو التقم السموات والأرضين كان ذلك له لقمة واحدة (وثانيها) طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر ، كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد (وثالثها) خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ، ولا من الإنس ، ولعلهم خدم أهل الجنة (ورابعها) يحتمل أنه عيسى عليه السلام لأنه اسمه ، ثم إنه ينزل في موافقة الملائكة ليطلع على أمة محمد (وخامسها) أنه القرآن . (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) (وسادسها) الرحمة قرى. (لا تيأسوا من روح الله) بالرفع كأنه تعالى ، يقول الملائكة ينزلون رحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة (وسابعها) الروح أشرف الملائكة (وثامنها) عن أبي نجيح الروح هم الحفظة والكرام الكاتبون فصاحب اليمين يكتب إتيانه بالواجب ، وصاحب الشمال يكتب تركه للقبيح ، والأصح أن الروح ههنا جبريل . وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة

قوله تعالى : ﴿ بإذن ربهم ﴾ فقد ذكرنا أن هذا يدل على أنهم كانوا مشتاقين إلينا ، فإن

مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

قيل : كيف يرغبون إلينا مع علمهم بكثرة معاصينا ؟ قلنا إنهم لا يقفون على تفصيل المعاصى روى أنهم يطالعون اللوح ، فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة ، فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الستر فلا يرونها ، فحينئذ يقول سبحان من أظهر الجميل ، وستر على القبيح ، ثم قد ذكرنا فوائد فى نزولهم ونذكر الآن فوائد أخرى وحاصلها أنهم يرون فى الأرض من أنواع الطاعات أشياء ماراوها فى عالم السموات (أحدها) أن الأغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء والفقراء يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون الله ، وهذا نوع من الطاعة لا يوجد فى السموات (وثانيها) أنهم يسمعون أنين العصاة وهذا لا يوجد فى السموات (وثالثها) أنه تعالى قال « لأنين المذنبين أحب إلى من زجل المسبحين » فقالوا تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتاً هو أحب إلى ربنا من صوت تسبيحنا ، وكيف لا يكون أحب وزجل المسبحين إظهار لكمال حال المطيعين ، وأنين العصاة إظهار لغفارية رب الأرض والسموات .

﴿ المسألة الثانية ﴾ هذه الآية دالة على عصمة الملائكة ونظيرها قوله (وما نتنزل إلا بأمر ربك) وقوله (لا يسبقونه بالقول) وفيها دقيقة وهى أنه تعالى لم يقل مأذونين بل قال (بإذن ربهم) وهو إشارة إلى أنهم لا يتصرفون تصرفا ما إلا بإذنه ، ومن ذلك قول الرجل لامرأته إن خرجت إلا بإذنى ، فانه يعتبر الإذن فى كل خرجة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (ربهم) يفيد تعظيما للملائكة وتحقيراً للعصاة ، كأنه تعالى قال : كانوا لى فكنت لهم ، ونظيره فى حقنا (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض) وقال لمحمد عليه السلام (وإذ قال ربك) ونظيره ماروى أن داود لما مرض مرض الموت قال : إلهى كن لسليمان كما كنت لى ، فنزل الوحى وقال : قل لسليمان فليكن لى كما كنت لى ، وروى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه فقد الضيف أياماً فخرج بالسفرة ليلتمس ضيفاً فإذا بخيمة ، فنادى أتريدون الضيف ؟ فقيل نعم ، فقال للضيف أيوجد عندك إدام لبن أو عسل ؟ فرفع الرجل صخرتين فضرب إحداهما بالأخرى فانشقتا فخرج من إحداهما اللبن ومن الأخرى العسل ، فتعجب إبراهيم وقال : إلهى أنا خليلك ولم أجد مثل ذلك الإكرام ، فماله ؟ فنزل الوحى ياخليلى كان لنا فكنا له .

أما قوله تعالى ﴿ من كل أمر ﴾ فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها من أجل كل أمر ، والمعنى أن كل واحد منهم إنما نزل لمهم آخر ، ثم ذكروا فيه وجوهاً (أحدها) أنهم كانوا فى أشغال كثيرة فبعضهم للركوع وبعضهم للسجود ، وبعضهم بالدعاء ، وكذا القول فى التفكر والتعليم ، وإبلاغ الوحى ، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة أو ليسلموا على المؤمنين (وثانيها) وهو قول الأكثرين

سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة من خير أو شر ، وفيه إشارة إلى أن نزولهم إنما كان عبادة ، فكأنهم قالوا ما نزلنا إلى الأرض لهوى أنفسنا ، لكن لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين ، وعم لفظ الأمر ليعم خير الدنيا والآخرة بياناً منه أنهم ينزلون بما هو صلاح المكلف فى دينه ودنياه كأن السائل يقول من أين جئت ؟ فيقول : مالك وهذا الفضول ، ولكن قل لأى أمر جئت لأنه حظك (وثالثها) قرأ بعضهم (من كل امرىء) أى من أجل كل إنسان ، وروى أنهم لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه ، قيل : أليس أنه قد روى أنه تقسم الآجال والأرزاق ليلة النصف من شعبان ، والآن تقولون إن ذلك يكون ليلة القدر ؟ قلنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله يقدر المقادير فى ليلة البراءة ، فإذا كان ليلة القدر يسلمها إلى أربابها » وقيل يقدر ليلة البراءة الآجال والأرزاق ، وليلة القدر يقدر الأمور التى فيها الخير والبركة والسلامة ، وقيل يقدر فى ليلة القدر ما يتعلق به إعزاز الدين ، وما فيه النفع العظيم للمسلمين ، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويسلم إلى ملك الموت .

(الوجه الثالث) من فضائل هذه الليلة . قوله تعالى ﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ وفيه مسائل

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى قوله سلام وجوه (أحدها) أن ليلة القدر . إلى طلوع الفجر سلام أى تسلم الملائكة على المطيعين ، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجاً فوجاً من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة السلام (وثانيها) وصفت الليلة بأنها سلام ، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل فى قصة العجل الحنيذ ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا ، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صار نار نمروذ عليه (برداً وسلاماً) أفلا تصير نار تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا برداً وسلاماً لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلا مشوياً وهم يريدون منا قلباً مشوياً ، بل فيه دقيقة ، وهى إظهار فضل هذه الأمة ، فإن هناك الملائكة ، نزلوا على الخليل ، وههنا نزلوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وثالثها) أنه سلام من الشرور والآفات ، أى سلامة وهذا كما يقال : إنما فلان حج وغزو أى هو أبداً مشغول بهما ، ومثله :

« فإنما هى إقبال وإدبار »

وقالوا تنزل الملائكة والروح فى ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شىء فما ينزل فى هذه الليلة فهو سلام ، أى سلامة ونفع وخير (ورابعها) قال أبو مسلم سلام أى الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك (وخامسها) سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءاً (وسادسها) أن الوقف عند قوله (من كل أمر سلام) فيتصل السلام بما قبله ومعناه أن تقدير الخير والبركة والسلامة يدوم إلى طلوع الفجر ، وهذا الوجه ضعيف (وسابعها)

أنها من أولها إلى مطلع الفجر سالمة فى أن العبادة فى كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالى فى أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هى متساوية الأوقات والأجزاء (وثامنها) سلام هى ، أى جنة هى لأن من أسماء الجنة دار السلام أى الجنة المصوغة من السلامة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ المطلع الطلوع يقال طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً ، والمعنى أنه يدوم ذلك السلام إلى طلوع الفجر ، ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع وكذا مكان الطلوع مطلع قاله الزجاج ، أما أبو عبيدة والفراء وغيرهما فانهم اختاروا فتح اللام لأنه بمعنى المصدر ، وقالو الكسر اسم نحو المشرق ولا معنى لاسم موضع الطلوع ههنا بل إن حمل على ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح ، قال أبو على ويمكن حمله على المصدر أيضاً ، لأن من المصادر التى ينبغى أن تكون على المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز ، قوله (ويسألونك عن المحيض) فكذلك كسر المطلع جاء شاذاً عما عليه بابه . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سورة «القَدْر»

وهي مَدَنيةٌ في قولِ أكثرِ المفسِّرين؛ ذكره الثعلبيُّ. وحكى الماوَرْدِيُّ عكسَه[1].

قلت: وهي مدنيةٌ في قول الضحَّاك، وأحدِ قولي ابنِ عباس[2]. وذكر الواقِدِيُّ أنها أوّلُ سورةٍ نزلت بالمدينة[3]. وهي خمسُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآنَ وإنْ لم يَجْرِ له ذِكرٌ في هذه السورة؛ لأنَّ المعنى معلوم، والقرآنُ كلُّه كالسورة الواحدة. وقد قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال: ﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ١-٣]، يريد: في[4] ليلة القَدْرِ. وقال الشعبيُّ: المعنى: إنَّا ابتدأنا إنزالَه في ليلة القدر[5].

وقيل: بل نزل به جبريلُ عليه السلام جملةً واحدةً في ليلة القَدْرِ من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى بيتِ العزة، وأملاه جبريلُ على السَّفَرة، ثم كان جبريل يُنزلُه على النبيِّ ﷺ نُجوماً نجوماً. وكان بين أوَّله وآخِره ثلاثٌ وعشرون سنةً؛ قاله ابن عباس، وقد تقدَّم في سورة البقرة[6].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣١١ ، وحكى قول الثعلبي ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨١ .

(٢) ذكره عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٤ ، وعن الضحاك الماوردي ٦/ ٣١١ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣١١ .

(٤) قوله: في، ليس في (ظ).

(٥) الكشاف ٤/ ٢٧٣ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٤٣ .

(٦) ينظر ٣/ ١٦٠ - ١٦١ ، وكذلك ١/ ٩٨ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٤٢ .

وحكى الماوَرْدِيُّ[1] عن ابن عباس قال: نزل القرآن في شهر رمضانَ، وفي ليلة القدر، في ليلةٍ مباركةٍ، جملةً واحدةً من عند الله، من اللوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرامِ الكاتبين في السماء الدنيا، فنجَّمته السفرةُ الكرامُ الكاتبون على جبريل عشرين سنةً، ونجَّمه جبريل على النبيِّ ﷺ عشرين سنة. قال ابن العَرَبيِّ[2]: وهذا باطلٌ؛ ليس بين جبريلَ وبين الله واسطةٌ، ولا بين جبريلَ ومحمدٍ عليهما السلام واسطةٌ.

قوله تعالى: ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال مجاهد: في ليلة الحُكْمِ. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ قال: ليلة الحكم[3]. والمعنى: ليلة التقدير، سمِّيتْ بذلك لأنَّ الله تعالى يقدِّر فيها ما يشاء من أمره، إلى مِثْلِها من السنة القابِلَةِ؛ من أمر الموتِ والأَجَلِ والرِّزقِ وغيره. ويُسْلِمُه إلى مدبِّرات الأمور، وهم أربعةٌ من الملائكة: إسرافيلُ، وميكائيلُ، وعزرائيلُ، وجبريلُ، عليهم السلام[4].

وعن ابن عباس قال: يُكْتَب من أمِّ الكتاب ما يكونُ في السنةِ من رزقٍ ومطرٍ وحياةٍ وموت، حتى الحاجُّ[5]. قال عكرمةُ: يُكتبُ حاجُّ بيتِ الله تعالى في ليلة القَدْرِ بأسمائهم وأسماءِ آبائهم، ما يُغادَر منهم أحدٌ، ولا يُزادُ فيهم[6]. وقاله سعيد بن جبير[7]. وقد مضى في أوّل سورة الدخان هذا المعنى[8].

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٣١٢.

(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦، وابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥، والطبري ٢٤/ ٥٤٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٦٩، ويشير إلى خبر عبد الرحمن بن سابط الذي سلف عند تفسير الآية (٥) من سورة السجدة، والآية (٥) من سورة النازعات.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥، وعزاه لمحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم، وسلف ١٩/ ١٠٢.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥، وعزاه لابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٤٤.

(٨) ١٩/ ١٠٢.

وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ الله تعالى يقضي الأقضيةَ في ليلةِ نصف شعبان، ويُسْلمُها إلى أربابها في ليلة القَدْرِ[١].

وقيل: إنَّما سمِّيت بذلك لِعظَمِها وقَدْرِها وشَرَفها؛ من قولهم: لفلانٍ قَدْرٌ، أي: شرفٌ ومنزلة. قاله الزُّهرِيُّ وغيرُه[٢].

وقيل: سُمِّيتْ بذلك لأنَّ للطاعات فيها قَدْراً عظيماً، وثواباً جزيلاً.

وقال أبو بكر الورَّاق: سمِّيت بذلك لأنَّ مَن لم يكن له قَدْرٌ ولا خطرٌ يصير في هذه الليلة ذا قَدْرٍ إذا أحياها[٣].

وقيل: سمِّيتْ بذلك لأنه أَنزل فيها كتاباً ذا قدرٍ، على رسولٍ ذي قَدْرٍ، على أمةٍ ذاتِ قَدْرٍ.

وقيل: لأنه ينزلُ فيها ملائكةٌ ذوو قَدْرٍ وخَطَر.

وقيل: لأنَّ الله تعالى ينزلُ فيها الخيرَ والبركةَ والمغفرة.

وقال سهل: سمِّيتْ بذلك لأنَّ الله تعالى قدَّر فيها الرحمةَ على المؤمنين.

وقال الخليل: لأنَّ الأرضَ تَضيقُ فيها بالملائكة، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] أي: ضُيِّق[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

قال الفرَّاء[٥]: كلُّ ما في القرآن من قوله تعالى: «وما أَدْرَاكَ» فقد أدراه، وما كان من قوله: «وما يُدْرِيك» فلم يُدْرِه. وقاله سفيان، وقد تقدَّم[٦].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ١٤٩ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥ ، وزاد المسير ٩/ ١٨٢ عن الزهري، والنكت والعيون ٦/ ٣١٢ عن ابن عيسى.

(٣) ذكره بنحوه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨٢ .

(٤) زاد المسير ٩/ ١٨٢ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٠ .

(٦) عند تفسير الآية (٣) من سورة الحاقة، والآية (٣) من سورة الطارق.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ بيَّنَ[١] فَضْلَها وعِظَمَها. وفضيلةُ[٢] الزمانِ إنَّما تكونُ بكَثْرةِ ما يقع فيه من الفضائل. وفي تلك الليلةِ يُقْسَمُ الخيرُ الكثيرُ الذي لا يوجدُ مثلُه في ألفِ شهرٍ. والله أعلم.

وقال كثيرٌ من المفسِّرين: أي: العملُ فيها خيرٌ من العمل في ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدرِ، وقال أبو العالية: ليلةُ القَدْرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ لا تكونُ فيه ليلةُ القَدْرِ[٣].

وقيل: عنَى بألفِ شهرٍ جميعَ الدهر؛ لأنَّ العرب تذكُر الأَلْفَ في غاية الأشياء، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة:٩٦] يعني جميعَ الدهر.

وقيل: إنَّ العابد كان فيما مضى لا يسمَّى عابداً حتى يعبدَ الله ألفَ شهرٍ؛ ثلاثاً وثمانين سنةً وأربعةَ أشهرٍ، فجعل الله تعالى لأمةِ محمدٍ ﷺ عبادةَ ليلةٍ خيراً من ألفِ شهرٍ كانوا يعبدونها.

وقال أبو بكر الورَّاق: كان مُلْكُ سليمان خمسَ مئةِ شهرٍ، وملكُ ذي القرنين خمسَ مئة شهرٍ، فصار مُلْكُهما ألفَ شهرٍ، فجعل الله تعالى العملَ في هذه الليلةِ لمَن أدركها خيراً من مُلْكِهما[٤].

وقال ابن مسعود: إنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَر رجلاً من بني إسرائيلَ لَبِسَ السلاح في سبيل الله ألفَ شهر، فعَجِبَ المسلمون من ذلك، فنزلت: «إنّا أَنْزَلْناه» الآية، «خَيْرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ»، التي لبِس فيها الرجلُ سلاحَه في سبيل الله. ونحوه عن ابن عباس[٥].

وهب بن منبه: إنَّ ذلك الرجلَ كان مسلماً، وإنَّ أمَّه جعلته نَذْراً لله، وكان من قريةِ قومٍ يعبدون الأصنامَ، وكان يسكنُ قريباً منها، فجعل يغزوهم وحدَه، ويقتلُ

(١) في (ظ): من.
(٢) في (ظ): وكثرة.
(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦، والطبري ٢٤/ ٥٤٦ عن قتادة واختاره، ولم نقف عليه عن أبي العالية.
(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣١٣ دون نسبة.
(٥) الوسيط ٤/ ٥٣٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٢، وزاد المسير ٩/ ١٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البيهقي ٤/ ٣٠٦ من طريق مجاهد عن النبي ﷺ مرسلاً، ولم نقف عليه عن ابن مسعود ﷺ.

ويَسْبي ويجاهد، وكان لا يلقاهم إلَّا بِلَحْيَيْ بعيرٍ، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وعطِش، انفجر له من اللَّحيين ماءٌ عَذْبٌ، فيشربُ منه، وكان قد أُعطِي قوّةً في البطش، لا يُوجِعُه حديدٌ ولا غيره، وكان اسمُه شَمْسُون.

وقال كعبُ الأحبارِ: كان رجلاً ملِكاً في بني إسرائيل، ففعل خَصْلةً واحدةً، فأوحَى الله إلى نَبيٍّ زمانهم: قل لفلانٍ يتمنَّى. فقال: يا رب، أتمنَّى أن أُجاهد بمالي وولدي ونَفْسي، فرزَقه الله ألفَ ولدٍ، فكان يُجهِّز الولد بماله في عسكرٍ ويُخْرِجُه مجاهداً في سبيل الله، فيقومُ شهراً ويُقتلُ ذلك الولد، ثم يجهِّزُ آخَرَ بماله في عسكر، فكان كلُّ ولدٍ يقتل في الشهر، والملِكُ مع ذلك قائمُ الليلِ، صائمُ النهار، فقُتِل الأَلْفُ وَلدٍ في ألفِ شهر، ثم تقدَّم فقاتل فقُتِل. فقال الناس: لا أحدَ يدركُ منزلةَ هذا الملك، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ من شهور ذلك الملك، في القيام والصيام والجهاد بالمال والنفسِ والأولاد في سبيل الله.

وقال علي بن عروة[1]: ذكر النبيُّ ﷺ أربعةً من بني إسرائيلَ، فقال: «عَبَدوا الله ثمانينَ سنة، لم يَعْصُوه طرفةَ عينٍ»؛ فذَكَر أيوبَ، وزكريّا، وحِزقيل بن العجوز، ويُوشَع بن نون، فعَجِبَ أصحابُ النبيِّ ﷺ من ذلك. فأتاه جبريل فقال: يا محمدُ، عَجِبَتْ أمَّتك من عبادةِ هؤلاء النَّفَرِ ثمانين سنةً لم يعصوا الله طرفةَ عين، فقد أنزل الله عليك خيرًا من ذلك، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾. فسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ.

وقال مالكٌ في «الموطَّأ» من رواية ابن القاسم وغيره: سمعتُ مَن أَثِقُ به يقول: إنَّ رسول الله ﷺ أُرِي أعمارَ الأُمم قبلَه، فكأنه تقاصَرَ أعمارَ أمَّتِه ألَّا يبلغوا من العمل مثلَ ما بلغ غيرُهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدرِ، وجعلها خيراً من ألفِ شهرٍ[2].

---

(١) في النسخ: وقال علي وعروة، والمثبت من تفسير ابن كثير عند هذه الآية، والدر المنثور ٦/ ٣٧١، وقد عزاه ابن كثير والسيوطي لابن أبي حاتم، وهو من طريق مسلمة بن علي عن علي بن عروة، وهما متروكان، كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٠، والخبر في الموطأ ١/ ٣٢١. قال ابن عبد البر في التمهيد =

وفي الترمذيِّ عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ أُرِيَ بني أميةَ على منبره، فساءَه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ يعني نهراً في الجنة. ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ . لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكُها بعدك بنو أمية. قال القاسم بن الفضل الحُدَّانيُّ: فعدَدْناها، فإذا هي ألفُ شهرٍ، لا تزيدُ يوماً، ولا تنقُص يوماً. قال: حديثٌ غريب[1].

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي: تهبطُ من كلِّ سماءٍ، ومن سِدْرةِ المنتهى، ومسكنُ جبريلَ على وسطها. فينزلون إلى الأرض ويؤمِّنون على دعاء الناس، إلى وقت طلوع الفجر، فذلك قولُه تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: جبريلُ عليه السلام. وحكى القُشَيرِيُّ: أنَّ الرُّوح صِنفٌ من الملائكة، جُعِلوا حفَظَةً على سائرهم، وأنَّ الملائكة لا يرونهم، كما لا نرى نحن الملائكة.

وقال مقاتل: هم أشرفُ الملائكةِ وأقربُهم من الله تعالى.

وقيل: إنَّهم جندٌ من جند الله عزَّ وجلَّ من غيرِ الملائكة. رواه مجاهدٌ عن ابن عباس مرفوعًا؛ ذكره الماوَرْدِيُّ[2].

وحكى القشيريُّ: قيل: هم صِنفٌ من خَلْقِ الله يأكلون الطعام، ولهم أَيْدٍ وأرجلٌ؛ وليسوا ملائكةً.

وقيل: «الرُّوح»: خَلْقٌ عظيمٌ يقومُ صفًّا، والملائكةُ كلُّهم صفًّا.

= ٢٤/٣٧٣: لا أعلم هذا الحديث يروى مسنداً من وجه من الوجوه، ولا أعرفه في غير الموطأ مرسلاً ولا مسنداً، وهذا أحد الأحاديث التي انفرد بها مالك.

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٠) والقاسم بن الفضل هو أحد رجال الإسناد. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا الحديث منكر جدًّا.

(٢) في النكت والعيون ٦/٣١٣، وقد سلف عند تفسير الآية (٣٨) من سورة عم.

وقيل: «الرُّوح»: الرحمةُ ينزل بها جبريلُ عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها، دليله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] أي: بالرحمة[١].

﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلةِ القدر. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: بأمره. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: بكلِّ أمرٍ قدَّرَه الله وقضاه في تلك السنة إلى قابلٍ؛ قاله ابن عباس[٢]؛ كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي: بأمرِ الله.

وقراءةُ العامَّة: «تَنَزَّلُ» بفتح التاء، إلَّا أنَّ البزِّيَّ شدَّد التاء[٣]. وقرأ طلحةُ بن مُصرِّف وابن السَّميفَع بضمِّ التاءِ على الفعل المجهول[٤].

وقرأ عليٌّ وابنُ عباس وعِكرمةُ والكلبيُّ: «مِن كلِّ امْرِئٍ»[٥]. وروي عن ابن عباس أنَّ معناه: من كلِّ مَلَكٍ[٦]. وتأوَّلها الكلبيُّ على أنَّ جبريل ينزلُ فيها مع الملائكة، فيسلِّمون على كلِّ امرئٍ مسلمٍ، فـ «مِن» بمعنى على[٧]. وعن أنس قال: قال النبيُّ ﷺ: «إذا كان ليلة القَدْرِ نزلَ جبريلُ في كَبْكبةٍ من الملائكة، يُصَلُّون ويسلِّمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يذكُر الله تعالى»[٨].

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قيل: إنَّ تمامَ الكلامِ: «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، ثم قال: «سلام»؛ رُوِي ذلك عن نافعٍ

(١) النكت والعيون ٦/ ٣١٤.

(٢) ذكره ابن الجوزي ٩/ ١٩٣ عن المفسرين.

(٣) أي: في حال الوصل. التيسير ص ٨٣.

(٤) لم نقف عليها عند غير المصنف.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٦ عن ابن عباس، والمحتسب ٢/ ٣٦٨ عن ابن عباس وعكرمة والكلبي.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٦.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٣١٤، وزاد المسير ٩/ ١٩٣، قال ابن الجوزي: هي كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ [الأنبياء: ٧٧].

(٨) أخرجه مطولاً البيهقي في الشعب (٣٧١٧). وفي إسناده أصرم بن حوشب، قال عنه يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك. وقال الدارقطني: منكر الحديث. الميزان ١/ ٢٧٢.

وغيره، أي: ليلةُ القدرِ سلامةٌ وخيرٌ كلُّها لا شرَّ فيها، «حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ» أي: إلى طلوع الفجر. قال الضحاك: لا يقدِّرُ الله في تلك الليلةِ إلَّا السلامةَ، وفي سائرِ الليالي يقضي بالبلايا والسلامة[1].

وقيل: أي: هي سلامٌ، أي: ذاتُ سلامةٍ من أنْ يؤثِّر فيها شيطانٌ في مؤمنٍ ومؤمنةٍ. وكذا قال مجاهد: هي ليلةٌ سالمةٌ، لا يستطيعُ الشيطانُ أن يعمل فيها سوءاً ولا أذًى[2]. وروي مرفوعًا[3].

وقال الشعبيُّ: هو تسليمُ الملائكةِ على أهلِ المساجد، من حينِ تغيبُ الشمسُ إلى أنْ يطلعَ الفجر، يمرُّون على كلِّ مؤمنٍ، ويقولون: السلامُ عليك أيُّها المؤمن[4].

وقيل: يعني سلامَ الملائكةِ بعضِهم على بعضٍ فيها.

وقال قتادةُ: «سَلَامٌ هي» خيرٌ هي، «حتى مَطْلَعِ الفجرِ» أي: إلى مطلع الفجر[5].

وقرأ الكسائيُّ وابنُ مُحَيصِنٍ: «مَطلِع» بكسرِ اللَّامِ، الباقونَ بالفتح[6]. والفتحُ والكسرُ لغتان في المصدر. والفتحُ الأصلُ في فَعَلَ يَفْعُلُ، نحو المَقْتَل والمَخْرَج. والكسرُ على أنه ممَّا شذَّ عن قياسه، نحو المَشْرِق والمَغْرِب والمَنْبِت والمَسْكِن والمَنْسِك والمَحْشِر والمَسْقِط والمَجْزِر. حكي في ذلك كلِّه الفتحُ والكسر، على أنْ يُراد به المصدرُ لا الاسم.

وهنا ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: في تعيينِ ليلة القدر، وقد اختلف العلماءُ في ذلك. والذي عليه المُعْظَمُ أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين؛ لحديثِ زِرّ بنِ حُبَيْش قال: قلتُ لأبيّ بنِ كعب: إنَّ أخاك

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٥١٢ دون قوله: وفي سائر الليالي...

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥١٢ . وأخرجه سعيد بن منصور، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٣) سيأتي ص٤٠٣ من هذا الجزء.

(٤) أخرجه بنحوه سعيد بن منصور، كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٦ ، والطبري ٤/ ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٦) السبعة ص ٦٩٣ ، والتيسير ص ٢٢٤ عن الكسائي.

عبدَ الله بنَ مسعودٍ يقول: مَن يَقُم الحَوْلَ يُصِبْ ليلةَ القدر. فقال: يَغفِرُ الله لأبي عبدِ الرحمن! لقد عَلِم أنها في العَشْرِ الأواخِر من رمضان، وأنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين، ولكنَّه أراد ألَّا يَتَّكِلَ الناس، ثم حلف لا يستثني: أنَّها ليلةُ سبعٍ وعشرين. قال: قلت: بأيِّ شيءٍ تقولُ ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالآية التي أَخْبرَنا بها رسولُ الله ﷺ - أو بالعلامة - أنَّ الشمسَ تَطْلُعُ يومئذٍ لا شُعاعَ لها. قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيح. وخرَّجه مسلم[(١)].

وقيل: هي في شهرِ رمضانَ دونَ سائرِ العام؛ قاله أبو هريرةَ وغيرُه[(٢)].

وقيل: هي في ليالي السنةِ كلِّها. فَمَن علَّق طلاقَ امرأتِه أو عِتْقَ عبدِه بليلةِ القدرِ، لم يقع العِتقُ والطلاقُ إلَّا بعد مُضِيِّ سنةٍ من يوم حَلَف[(٣)]؛ لأنه لا يجوزُ إيقاعُ الطلاقِ بالشكِّ، ولم يَثْبتِ اختصاصُها بوقتٍ؛ فلا ينبغي وقوعُ الطلاقِ إلَّا بمضيِّ حَوْلٍ[(٤)]، وكذلك العِتقُ وما كان مِثلَه من يمينٍ أو غيره. وقال ابن مسعود: مَن يَقُم الحولَ يُصِبْها، فبلغ ذلك ابنَ عمر، فقال: يرحمُ الله أبا عبدِ الرحمن! أمَا إنَّه عَلِم أنها في العشر الأواخِرِ من شهر رمضان، ولكنَّه أراد ألَّا يتَّكِلَ الناس[(٥)]. وإلى هذا القولِ ذهب أبو حنيفةَ: أنَّها في جميع السنة[(٦)]. وقيل عنه: أنها رُفِعَتْ - يعني ليلةَ القدر - وأنها إنَّما كانت مرةً واحدة. والصحيحُ أنَّها باقيةٌ[(٧)].

---

(١) برقم (٧٦٢)، ص ٨٢٨، وهو عند الترمذي (٣٣٥١)، وأخرجه أحمد (٢١١٩٣).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة عبد الرزاق في المصنف (٧٧٠٧)، وأخرجه (٧٧٠٨) عن ابن عباس، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٠٨ عن ابن عمر وأبي ذر وأبي هريرة وابن عباس.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠.

(٤) أحكام القرآن للكيا الطبري ٣/ ٤٣١.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠، ومجمع البيان ٣٠/ ١٩٣، وقد سلف قريباً قول ابن مسعود في حديث أبيٍّ أيضاً.

(٦) ذكره الجوزجاني عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد، كما في التمهيد ٢/ ٢٠٨.

(٧) وذكر القول عن أبي حنيفة ابن عطية في المحرر ٥/ ٥٠٥ وقال: هذا قول مردود، وإنما رفع تعيينها.

وروي عن ابن مسعود أيضاً: أنَّها إذا كانت في يومٍ من هذه السنة، كانت في العام المقبلِ في يومٍ آخَر.

والجمهورُ على أنَّها في كلِّ عامٍ من رمضانَ، ثم قيل: إنها الليلةُ الأولى من الشهر؛ قاله أبو رَزِين العُقَيليّ(١). وقال الحسن وابنُ إسحاقَ وعبد الله بن الزُّبير: هي ليلةُ سبعَ عَشْرَة من رمضان، وهي الليلةُ التي كانت صبيحتَها وقعةُ بدْر. كأنهم نزعوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وكان ذلك ليلةَ سَبْعَ عَشْرةَ(٢)، وقيل: هي ليلةُ التاسعِ عَشَر(٣).

والصحيحُ المشهورُ: أنها في العَشْرِ الأواخِر من رمضان، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ والأوزاعيِّ وأبي ثور وأحمدَ(٤). ثم قال قومٌ: هي ليلةُ الحادي والعشرين. ومال إليه الشافعيُّ ﵀، لحديثِ الماءِ والطينِ؛ رواه أبو سعيد الخُدْرِيُّ، خرَّجه مالك وغيرُه(٥).

وقيل: ليلة الثالثِ والعشرين؛ لِمَا رواه ابنُ عمر: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إنِّي رأيتُ ليلةَ القدرِ في سابعةٍ تبقى. فقال النبيُّ ﷺ: «أَرى رؤياكم قد تَواطَأَتْ على

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٠٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٥٣. وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٠٦ عن ابن مسعود ﵁.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧٦٩٦) عن علي ﵁، أنه كان يتحرى ليلة القدر ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين.

(٤) ذكر قولهم ابن عبد البر في الاستذكار ١٠/ ٣٣٨، والقاضي عياض في إكمال المعلم ٤/ ١٤٣، وأبو العباس في المفهم ٣/ ٢٥١: أنها في العشر الأواخر، وأنها متنقلة فيه. قال أبو العباس: وبهذا يجتمع شتات الأحاديث الواردة في تعيينها.

(٥) موطأ مالك ١/ ٣١٩، وهو عند أحمد (١١٠٣٤)، والبخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧)، وفيه: «... وقد رأيت هذه الليلة ثم أُنسيتُها، وقد رأيتُني أسجد من صبحها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كلِّ وتر» قال أبو سعيد: فأمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد. قال أبو سعيد: فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين، من صبح ليلة إحدى وعشرين.

ثلاثٍ وعشرين، فَمَن أراد أن يقوم من الشهر شيئاً فليَقُمْ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين». قال معمر: فكان أيوبُ يغتسلُ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين ويَمَسُّ طِيْباً[١]. وفي «صحيح» مسلمٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنِّي رأيتُ أنِّي أسجدُ في صبيحتها في ماءٍ وطين». قال عبد الله بن أنيس: فرأيتُه في صبيحةِ ليلةِ ثلاثٍ وعشرين [سجد] في الماء والطين، كما أَخبر رسولُ الله ﷺ[٢].

وقيل: ليلة خمسٍ وعشرين؛ لحديثِ أبي سعيد الخدريِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «التمِسوها في العشر الأواخِر في تاسعةٍ تَبْقَى، في سابعةٍ تبقى، في خامسةٍ تبقى». رواه مسلم[٣]، قال مالك: يريدُ بالتاسعة ليلةَ إحدى وعشرين، والسابعةِ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين، والخامسةِ ليلةَ خمسٍ وعشرين[٤].

وقيل: ليلة سبعٍ وعشرين. وقد مضى دليلُه، وهو قولُ عليٍّ ﷺ وعائشةَ ومعاويةَ وأبيّ بنِ كعب[٥]. ورَوَى ابنُ عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن كان متحرِّياً ليلةَ القدرِ، فلْيَتَحرَّها ليلةَ سبعٍ وعشرين»[٦].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الطبرسي في مجمع البيان ٣٠/ ١٩٣ - ١٩٤ ، ومختصراً ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ١٨٥ ، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق (٧٦٨٨).

(٢) بنحوه في صحيح مسلم (١١٦٨)، ونقله المصنف عن ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٣) كذا نقل المصنف عن ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٩٥٤ ، وهذا اللفظ الذي ذكره هو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد (٢٠٥٢)، والبخاري (٢٠٢٢). وحديث أبي سعيد عند مسلم (١١٦٧): (٢١٧)، وفيه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

(٤) المدونة ١/ ٢٣٩ .

(٥) قول أبيٍّ ﷺ سلف، وذكره البغوي ٤/ ٥١١ ، وابن الجوزي ٩/ ١٨٧ عن علي وعائشة رضي الله عنهما، وأخرج أبو داود (١٣٨٦) من حديث معاوية ﷺ مرفوعاً: «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين».

(٦) أخرجه أحمد (٤٨٠٨).

وقال أبيّ بنُ كعب: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليلةُ القدرِ ليلةُ سبعٍ وعشرين»[١].

وقال أبو بكر الورَّاق: إنَّ الله تعالى قَسَم لياليَ هذا الشهرِ - شهرِ رمضانَ - على كلماتِ هذه السورة، فلمَّا بلغ السابعةَ والعشرين أشار إليها فقال: هي. وأيضاً فإنَّ ليلةَ القدرِ كُرِّر ذِكْرُها ثلاثَ مرَّاتٍ، وهي تسعةُ أحرفٍ، فتجيءُ سبعاً وعشرين[٢].

وقيل: هي ليلةُ تسعٍ وعشرين؛ لمَا رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليلةُ القدرِ التاسعةُ والعشرون، أو السابعةُ والعشرون، وإنَّ الملائكةَ في تلك الليلةِ بعدد الحصى»[٣].

وقد قيل: إنَّها في الأشفاع؛ قال الحسن: ارتقبتُ الشمسَ ليلةَ أربعٍ وعشرين عشرين سنةً، فرأيتُها تطلعُ بيضاءَ لا شعاعَ لها[٤]. يعني من كثرةِ الأنوارِ في تلك الليلة.

وقيل: إنها مستورةٌ في جميع السنة؛ ليجتهد المرءُ في إحياءِ جميعِ الليالي.

وقيل: أخفاها في جميعِ شهرِ رمضان؛ ليجتهدوا في العمل والعبادةِ لياليَ شهرِ رمضانَ؛ طمعاً في إدراكها، كما أَخفَى الصلاةَ الوسطى في الصلوات، واسمَه الأعظمَ في أسمائه الحُسْنى، وساعةَ الإجابةِ في ساعات الجمعةِ وساعاتِ الليل، وغضبَه في المعاصي، ورضاه في الطاعات، وقيامَ الساعةِ في الأوقات، والعبدَ الصالحَ بين العباد؛ رحمةً منه وحكمة.

الثانية: في علاماتها: منها أنَّ الشمس تطلعُ صبيحةَ يومها[٥] بيضاءَ لا شعاعَ لها.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ٩٢ . وجاء في بعض رواياته عند أحمد (٢١١٩٠): ... هي الليلة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، ليلة سبع وعشرين...، وعند مسلم (٧٦٢): ... هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين...

(٢) زاد المسير ٩/ ١٨٨ .

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧٣٤). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: إسناده لا بأس به.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٧٦٩٨).

(٥) في (م): أن تطلع الشمس في صبيحتها.

وقال الحسن قال النبيُّ ﷺ في ليلة القدر: «إنَّ من أَماراتها: أنَّها ليلةٌ سَمْحَةٌ بَلْجَة، لا حارَّةٌ ولا باردةٌ، تطلع الشمسُ صبيحتَها ليس لها شعاعٌ»(١). وقال عبيد بن عمير: كنتُ ليلةَ السابعِ والعشرين في البحر، فأخذتُ من مائه، فوجدتُه عذباً سَلِساً(٢).

الثالثة: في فضائلها. وحَسْبُك بقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾. وفي الصحيحين: «مَنْ قام ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحتساباً غُفر له ما تَقدَّم من ذَنْبه» رواه أبو هريرة(٣).

وقال ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ: «إذا كان ليلةُ القدْرِ، تَنَزَّلُ الملائكةُ الَّذِينَ هم سُكَّانُ سِدْرة المُنْتَهى، منهم جبريلُ، ومعهم أَلْوِيةٌ يُنْصَبُ منها لواءٌ على قبري، ولواءٌ على بيتِ المقدِسِ، ولواءٌ على المسجدِ الحرام، ولواءٌ على طُور سَيْناء، ولا تَدَعُ فيها مؤمناً ولا مؤمنةً إلَّا تُسَلِّم عليه، إلَّا مُدْمِنَ الخمرِ، وآكِلَ الخِنزيرِ، والمتَضَمِّخ بالزعفران»(٤).

وفي الحديث: «إنَّ الشيطانَ لا يخرجُ في هذه الليلة حتّى يُضيءَ فَجْرُها، ولا يستطيعُ أن يصيب فيها أحداً بخَبْلٍ ولا شيءٍ من الفساد، ولا ينفذُ فيها سحرُ ساحرٍ»(٥).

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٥١١ ، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ٣/ ٧٧ ، وأخرج نحوه أحمد (٢٢٧٦٥) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وابن خزيمة (٢١٩٠) من حديث جابر ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢٧٧٧) عن عبدة بن أبي لبابة. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣٦٩١) عن أيوب بن خالد. وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد ٢١/ ٢١٥ - ٢١٦ عن زهرة بن معبد. ولم نقف عليه عن عبيد بن عمير.

(٣) صحيح البخاري (١٩٠١)، وصحيح مسلم (٧٦٠)، وهو عند أحمد (٨٥٧٦).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) قوله: «إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها» قطعة من حديث أخرجه ابن خزيمة (٢١٩٠)، وابن حبان (٣٦٨٨) عن جابر ﷺ.

وقال الشعبيُّ: وليلُها كيَوْمِها، ويومُها كَلَيْلِها[١].

وقال الفرَّاءُ: لا يقدِّر اللهُ في ليلة القَدْرِ إلَّا السعادةَ والنِّعم، ويقدِّر في غيرها البلايا والنِّقَم، وقد تقدَّم عن الضحَّاك[٢]. ومثلُه لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوعٌ. والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيب في «الموطأ»[٣]: [مَنْ شهِد العشاءَ من ليلةِ القدْرِ، فقد أَخَذَ بحظِّه منها]، ومثلُه لا يُدْرَك بالرأي.

وقد رَوَى عُبَد الله بن عامر بن ربيعة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن صلَّى صلاةَ المغربِ والعشاءِ الآخرةِ من ليلةِ القدرِ في جماعةٍ فقد أَخَذَ بحظِّه من ليلةِ القَدْر» ذكره الثعلبيُّ في تفسيره[٤].

وقال عائشةُ رضي الله عنها: قلتُ: يا رسولَ الله إنْ وافقتُ ليلةَ القَدرِ فما أقولُ؟ قال: «قُولي: اللهمَّ إنَّك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفوَ فاعْفُ عنِّي»[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥ .

(٢) ص٣٩٧ من هذا الجزء، ولم نقف على قول الفراء في معاني القرآن له.

(٣) ١/ ٣٢١ وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣٧٠٧) من حديث أنس ﷺ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٥١٥ عن سعيد بن المسيب قوله.

(٥) أخرجه أحمد (٢٥٣٨٤)، والترمذي (٣٥١٣) وقال: حسن صحيح.

تفسير سورة القدر[١]

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ .

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهى الليلة المباركة التى قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣] وهى ليلة القدر ، وهى من شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

قال ابن عباس وغيره :أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ .

ثم قال تعالى مُعَظِّما لشأن ليلة القدر ، التى اختصها بإنزال القران العظيم فيها ، فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسى، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّانى [٢] ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال : سَوّدتَ وجوهَ المؤمنين ـ أو : يا مسود وجوه المؤمنين ــ فقال : لا تؤنبنى ،رحمك الله ؛ فإن النبى ﷺ أرىَ بنى أمية على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ يا محمد ، يعنى نهراً فى الجنة ،ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددنا فإذا هى ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً [٣] .

ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدى. قال : وشيخه يوسف بن سعد ـ ويقال : يوسف بن مازن ـ رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى مستدركه ، من طريق القاسم [٤] بن الفضل ، عن يوسف بن

(١) فى أ : « سورة ليلة القدر » .
(٢) فى أ : « الجذامى » .
(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٠) .
(٤) فى أ : « من حديث الحاكم ».

مازن ، به [(١)] . وقول الترمذى : إن يوسف هذا مجهول ـ فيه نظر ؛ فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيى بن معين : هو مشهور، وفى رواية عن ابن معين [قال] [(٢)] : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسى بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضى اضطراباً فى هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزّى : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحُدّانى [(٣)] : إنه حسب مُدّة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص ، ليس بصحيح ؛ فإنّ معاويةَ بن أبى سفيان ، رضى الله عنه ، استقل بالملك حين سَلّم إليه الحسن بن على الإمرة سنَة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير فى الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين ، لكن لم تَزُل يدهم عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة فى الحساب ، والله أعلم .

ومما يدلّ على ضَعف هذا الحديث أنَّه سِيقَ لذم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ؛ فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة ، بمقتضى هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَم تَرَ أنّ السيف ينقُصُ قَدْرُه ... إذا قِيل إنّ السيف أمضَى مِن العَصَا

وقال آخر :

إذا أنتَ فَضَّلْتَ امرأ ذا بَرَاعَة ... عَلَى نَاقص كَانَ المديحُ منَ النَّقص

ثم الذى يفهم من ولاية [(٤)] الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته ، والله أعلم [(٥)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا مسلم ـ يعنى ابن خالد ـ عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد : أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لَبس السلاح فى

(١) المستدرك (٣/ ١٧٠) ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٥٠٩) .
(٢) زيادة من م .
(٣) فى أ : « الجذامى » .
(٤) فى م : « ثم من الذى يفهم من الآية أن » .
(٥) وانظر : البداية والنهاية (٦/ ٢٤٣، ٢٤٤) فقد توسع أيضا فى الكلام على هذا الحديث .

سبيل الله ألف شهر ، قال : فَعَجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حَكَّام بن سَلْم ، عن المثنى بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنى مسلمة بن عُلَىّ ، عن على بن عروة قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما أربعة من بنى إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عاماً ، لم يَعْصوه طرفة عين : فذكر أيوب ، وزكريا ، وحزْقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون ــ قال : فعجب (٣) أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، عَجِبَتْ أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة ، لم يَعْصُوه طرفة عين ؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والناس معه (٤) .

وقال سفيان الثورى : بَلَغنى عن مجاهد : ليلةُ القدر خير من ألف شهر . قال : عَمَلها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر . رواه ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فى تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعى ، وغير واحد .

وقال عمرو بن قيس الملائى : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ــ وليس فيها ليلة القدر ــ هو اختيارُ ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله ﷺ : « رِباطُ ليلة فى سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد (٥) . وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : « أنه يُكتَبُ له عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبى قِلابَة ، عن أبى هُريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله

(١) ورواه الثعلبى فى تفسيره والواحدى فى أسباب النزول كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ٢٥٣) من طريق مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد به مرسلاً .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٧) .

(٣) فى أ : « فتعجب » .

(٤) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٦٩) وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) المسند (١/ ٦٢) من حديث عثمان ، رضى الله عنه .

عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرم خَيرَها فقد حُرم » .

ورواه النسائى ، من حديث أيوب ، به (١) .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :« من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه » (٢) .

وقوله : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أى : يكثر تَنَزُّلُ الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل ، عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم فى سورة « النبأ ». والله أعلم .

وقوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ : قال مجاهد : سلام هى من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد فى قوله : ﴿سَلامٌ هِيَ ﴾ قال : هى سالمة ، لا يستطيع الشيطان (٣) أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور ، وتقدر الآجال والأرزاق ، كما قال تعالى :﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

وقوله : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ : قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشَيْم ، عن أبى إسحاق ، عن الشعبى فى قوله تعالى : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قال : تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: « من كل امرئ . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وروى البيهقى فى كتابه « فضائل الأوقات » عن علىٍّ أثراً غريباً فى نزول الملائكة ، ومرورهم على المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً ، فى تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل ، عليه السلام ، إلى الأرض ، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات (٤) .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران ــ يعنى القطان ــ عن قتادة ، عن أبى ميمونة ، عن أبى هُريرة : أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة ــ أو : تاسعة ــ وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » (٥) .

---

(١) المسند (٢/ ٢٣٠) وسنن النسائى (٤/ ١٢٩) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٩٠١) وصحيح مسلم برقم (٧٦٠) .

(٣) فى أ : « الشياطين » .

(٤) سيأتى إيراد الأثر عند تفسير آخر السورة .

(٥) مسند الطيالسى برقم (٢٥٤٥) .

وقال الأعمش ، عن المِنهَال ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلامٌ ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد فى قوله : ﴿ سَلامٌ هِيَ ﴾ يعنى (١) : هى خير كلها ، ليس (٢) فيها شر إلى مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا حَيْوَة (٣) بن شُرَيح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنى بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر فى العشر البواقى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهى ليل وتر : تسع أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول الله ﷺ : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلْجَة ، كأن فيها قمراً ساطعاً ، ساكنة سجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب يُرمَى به فيها حتى تصبح . وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » (٤) .

وهذا إسناد حسن ، وفى المتن غرابة ، وفى بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا زَمْعَة ، عن سلمة بن وَهْرام ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس (٥) صبيحتها ضعيفة حمراء » (٦) .

وروى ابن أبى عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنى رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهى فى العشر الأواخر ، من لياليها ليلة (٧) طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً ، لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » (٨) .

فصل

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة ، أو هى من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين :

قال أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى : حدثنا مالك :أنه بلغه : أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس قبله ــ أو : ما شاء الله من ذلك ــ فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر(٩) . وقد أسند من وجه آخر .

---

(١) فى م : « قال » . (٢) فى م : « لا تحدث » . (٣) فى أ : « حدثنا عبدة » .

(٤) المسند (٥/ ٣٢٤) .

(٥) فى م : « وتصبح شمسها » .

(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٦٨٠) وفيه : « صفيقة » بدل : « ضعيفة » .

(٧) فى أ : « لياليها وهى ليلة » .

(٨) عزاه إليه صاحب الكنز (٨/ ٥٤٠) برقم (٢٤٠٦٩) ولم أقع عليه فى السنة ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه برقم (٢١٩٠) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بنحوه .

(٩) الموطأ برواية الزهرى برقم (٨٨٩) .

وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العُدّة » أحد أئمة الشافعية من جمهور العلماء ، فالله أعلم . وحكى الخطابى عليه الإجماع [ونقله الرافعى جازماً به عن المذهب] (١) ، والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضين كما هى فى أمتنا .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثنى أبو زُمَيل سِمَاك الحَنَفى : حدثنى مالك بن مَرْثَد بن عبد الله ، حدثنى مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن ليلة القدر ، أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : « بل هى فى رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : « بل هى إلى يوم القيامة » . قلت : فى أى رمضان هى ؟ قال : « التمسوها فى العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حَدّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدّث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : فى أى العشرين هى ؟ قال : « ابتغوها فى العشر الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » . ثم حدّث رسول الله ﷺ ، ثم اهتبلت غفلته فقلت : يارسول الله ، أقسمت عليك بحقى عليك لَمَا أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها فى السبع الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » .

ورواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى بن سعيد القطان ، به (٢) .

ففيه دلالة على ما ذكرناه ،وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة [بعد النبى ﷺ] (٣)، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، على ما فهموه من الحديث الذى سنورده بعدُ من قوله ، عليه السلام : « فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم » ؛ لأن المراد رفعُ عِلْم وقتها عيناً . وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص (٤) وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما رُوى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد فى جميع السنة ، وترجى فى جميع الشهور على السواء .

وقد ترجم أبو داود فى سننه على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر فى كل رمضان » : حدثنا حُمَيد بن زَنْجُويه النسائى (٥) ، أخبرنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير، حدثنى موسى بن عقبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عمر قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر ، فقال : « هى فى كل رمضان » (٦) .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبى إسحاق فأوقفاه .

وقد حكى عن أبى حنيفة ، رحمه الله ، رواية أنها ترجى (٧) فى جميع شهر رمضان . وهو وجه [حكاه] (٨) الغزالى ، واستغربه الرافعى جداً .

---

(١) زيادة من م .

(٢) المسند (٥/ ١٧١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٢٧) .

(٣) زيادة من أ . (٤) فى م : « مختص » . (٥) فى م : « الشامى » .

(٦) سنن أبى داود برقم (١٣٨٧) .

(٧) فى م : « أنها ترتجى » . (٨) زيادة من م ، أ .

فصل

ثم قد قيل : إنها فى أول ليلة من شهر رمضان ، يحكى هذا عن أبى رَزِين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود . وروى موقوفاً عليه ، وعلى زيد بن أرقم ، وعثمان بن أبى العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعى ، ويحكى عن الحسن البصرى . ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هى السابعة عشرة [1] من شهر رمضان ، وفى صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال :٤١] .

وقيل : ليلة تسع عشرة ، يحكى عن على وابن مسعود أيضاً ، رضى الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدى وعشرين ؛ لحديث أبى سعيد الخدرى قال : اعتكف رسولُ الله ﷺ [فى] [2] العشر الأوَل من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : [إن] [3] الذى تطلب أمامك . ثم قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معى فليرجع ، فإنى رأيت ليلة القدر ، وإنى أنسيتها ، وإنها [4] فى العشر الأواخر فى وِتْر ، وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء ». وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نَرى فى السماء شيئاً ، فجاءت قَزَعَة فَمُطرنا ، فصلى بنا النبى ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه . وفى لفظ : « فى صبح إحدى وعشرين » أخرجاه فى الصحيحين [5] .

قال الشافعى : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ؛ لحديث عبد الله بن أنيس [6] فى « صحيح مسلم » [7] وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجُرَيرى ، عن أبى نَضْرَة ، عن أبى سعيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [8] . إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حَبِيب ، عن أبى الخير، عن الصنابحى ، عن بلال قال : قال رسول الله ﷺ :« ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [9].

(١) فى أ : « فى السابع عشر » . (٢) زيادة من م . (٣) زيادة من م ، أ .
(٤) فى م : « ثم إنها » .
(٥) صحيح مسلم برقم (١١٦٧) .
(٦) فى أ : « أويس » .
(٧) صحيح مسلم برقم (١١٦٨) .
(٨) مسند الطيالسى برقم (٢١٦٧) .
(٩) المسند (٦/ ١٢) .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن أبى عبد الله الصنابحى قال : قال : أخبرنى بلال ــ مؤذنُ رسول الله ﷺ ــ أنها أول السبع من العشر الأواخر ، فهذا الموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا رُوى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم فى سورة « البقرة » (١) حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ؛ لما رواه البخارى ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » . فَسَّره كثيرون بليالى الأوتار ، وهو أظهر وأشهر . وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد ، أنه حمله على ذلك . والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين ؛ لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب ، عن رسول الله ﷺ : « إنها ليلة سبع وعشرين » .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصماً ، عن زِرّ : سألت أبىّ بن كعب قلت: أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يُقِم الحَولَ يُصبْ ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها فى شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال: بالعلامة ــ أو : بالآية ــ التى أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعنى الشمس (٢) .

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعى ، عن عبدة ، عن زِرّ ، عن أبى ، فذكره ، وفيه : فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى رمضان ــ يحلف بما يستثنى ــ والله إنى لأعلم أى ليلة القدر هى التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها ، هى ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها (٣) .

وفى الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم (٤) ، عن رسول الله ﷺ : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجَادّة من مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وهو رواية عن أبى حنيفة أيضاً . وقد حُكِىَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : ﴿ هِىَ ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبرى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب

---

(١) عند تفسير الآية : ١٨٥ .

(٢) المسند (٥/ ١٣٠) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٦٢) .

(٤) وانظر هذه الأحاديث وغيرها فى : الدر المنثور للسيوطى (٨ / ٥٧٠ ــ ٥٨٠) .

أصحاب محمد [(١)] ﷺ ، فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إنى لأعلم ــ أو: إنى لأظن ــ أى ليلة القدر هى ؟ فقال عمر : أى ليلة هى؟ [فقلت] [(٢)] : سابعة تمضى ــ أو : سابعة تبقى ــ من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمى الجمار سبع . . . لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يَزيد عن ابن عباس فى قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا [وَقَضْبًا] [(٣)] ﴾ الآية [عبس: ٢٧، ٢٨] [(٤)] .

وهذا إسناد جيد قوى ، ونصٌّ [(٥)] غريب جداً ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . قال أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عُمرَ بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ، فقال رسول الله ﷺ : « فى رمضان ، فالتمسوها فى العشر الأواخر ، فإنها فى وتْر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين] [(٦)] ، أو فى آخر ليلة» [(٧)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ــ وهو : أبو داود الطيالسى ــ حدثنا عمران القطان، عن قتادة ، عن أبى ميمونة [(٨)]، عن أبى هريرة. أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر:«إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » [(٩)] .

تفرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون فى آخر ليلة ،لما تقدم من هذا الحديث آنفاً [(١٠)]، ولما رواه الترمذى والنسائى، من حديث عُيَينة بن عبد الرحمن،عن أبيه ،عن أبى بكرة ،أن رسول الله ﷺ قال:«فى تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعنى : التمسوا ليلة القدر [(١١)] .

---

(١) فى أ : « أصحاب رسول الله » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) زيادة من المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٢) .
(٤) المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٢) .
(٥) فى م : « ومتن » .
(٦) زيادة من أ ، والمسند .
(٧) المسند (٥/ ٣٢١) .
(٨) فى أ : « عن أبى معاوية » .
(٩) المسند (٢/ ٥١٩) .
(١٠) فى أ : « أيضاً » .
(١١) سنن الترمذى برقم (٧٩٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٠٤) .

وقال الترمذى :حسن صحيح . وفى المسند من طريق أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ فى ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » (١) .

فصل

قال [الإمام] (٢) الشافعى فى هذه الروايات: صدرت من النبى ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر فى الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة : لا تنتقل . نقله الترمذى عنه بمعناه . وروى عن أبى قِلابَة أنه قال : ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر (٣) .

وهذا الذى حكاه عن أبى قلابة نص عليه مالك ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزنى ، وأبو بكر بن خُزَيمة ، وغيرهم . وهو محكى عن الشافعى ــ نقله القاضى عنه ، وهو الأشبه ــ والله أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين ، عن عبد الله بن عُمر : أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان مُتحريها فَلْيَتَحرها فى السبع الأواخر » (٤) .

وفيها أيضاً عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « تَحَرَّوْا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » (٥) . ولفظه للبخارى .

ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فَتَلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فَرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » (٦) .

وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة، إذا (٧) لو كانت تنتقل لما علموا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء فى الحديث : « إن العبد ليُحْرَم الرزقَ بالذَّنْبِ يُصيبه » .

وقوله : « فرفعت » أى : رفع علم تَعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله

(١) لم أقع عليه فى المسند ، وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٧٢) وعزاه لأحمد ، ولعلى أستدركه فيما بعد .
(٢) زيادة من أ .
(٣) سنن الترمذى (٣/ ١٥٩) .
(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠١٥) وصحيح مسلم برقم (١١٦٥) .
(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠١٧) وصحيح مسلم برقم (١١٦٩) .
(٦) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٣) .
(٧) فى أ : « إذ » .

جهلة الشيعة ؛ لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعنى : عدم تعينها لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طُلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا [١] عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ، ويكون الاجتهاد فى العشر الأواخر [٢] أكثر . ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله ، عز وجل . ثم اعتكف أزواجهُ من بعده . أخرجاه من حديث عائشة [٣] .

ولهما عن ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان [٤] .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه [٥] .

ولمسلم عنها [٦]: كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره [٧] .

وهذا معنى قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا سُرَيج ، حدثنا أبو مَعْشَر ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بقى عشر من رمضان شَدَّ مئزره ، واعتزل نساءه . انفرد به أحمد [٨] .

وقد حكى عن مالك ، رحمه الله ، أن جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يترجح منها ليلة على أخرى : رأيته فى شرح الرافعى ، رحمه الله .

والمستحب الإكثار من الدعاء فى جميع الأوقات ، وفى شهر رمضان أكثر ، وفى العشر الأخير منه ، ثم فى أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عَفُوٌّ تحب العفو ، فاعف عنى » ؛ لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ــ هو ابن هارون ــ حدثنا الجريرى [٩] ــ وهو سعيد بن إياس ــ عن عبد الله بن بُريدة ، أن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عنى » [١٠] .

---

(١) فى أ : « إذا عملوا » .
(٢) فى أ : « الأخير » .
(٣) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٦) وصحيح مسلم برقم (١١٧٢) .
(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٥) وصحيح مسلم برقم (١١٧١) .
(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٤) وصحيح مسلم برقم (١١٧٤) .
(٦) فى م : « عنهما » .
(٧) صحيح مسلم برقم (١١٧٥) .
(٨) المسند (٦/ ٦٦) .
(٩) فى م : « الجوهرى » .
(١٠) المسند (٦/ ١٨٢) .

وقد رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طريق كَهْمَس بن الحسن ، عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمْتُ أى ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : «قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » (١) .

وهذا لفظ الترمذى ، ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين » (٢) . ورواه النسائى أيضاً من طريق سفيان الثورى ، عن علقمة بن مَرثَد ، عن سليمان بن بُرَيدة عن عائشة قالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » (٣) .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطوانى ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسى بن سعيد ــ يعنى الراسبى ــ عن هلال أبى جبلة ، عن أبى عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة ، مما يلى الجنة ، فهى على حَدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة ، عُلوها فى الجنة ، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسى ، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم (٤) إلا الله ، عز وجل ، يعبدون الله ، عز وجل ، على أغصانها فى كل موضع شعرة منها ملك . ومقام جبريل، عليه السلام ، فى وسطها ، فينادى الله جبريل أن ينزل فى كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون على(٥) جبريل فى ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التى تطرحون فيها الخبَث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مُسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس مُعلّق ، أو مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت ، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين (٦) إلا صافحه ، وعلامة ذلك مَن اقشعر جلدهُ ورقّ قلبه ودَمعَت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أنه من قال فى ليلة القدر : « لا إله إلا الله » ، ثلاث مرات ، غَفَر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقاً ؟ فقال كعب (٧) : وهل يقول : « لا إله إلا الله » فى ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذى نفسى بيده ، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق ، حتى كأنها على ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه ــ

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٥١٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٠) .
(٢) المستدرك (١/ ٥٣٠) .
(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٧١٣) .
(٤) فى م ، أ : « عددهم » . (٥) فى أ : « مع » . (٦) فى أ : « من الناس » .
(٧) فى م : « كعب الأحبار » .

وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا فى تلك الساعة ـ فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو مَلَكاً (١) فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتساباً ، ودعا لمن حَدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله . فإذا أمسوا (٢) دخلوا السماء الدنيا ، فيجلسون حلقاً [حلقا] (٣) ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة (٤) ، فيحدثونهم حتى يقولوا : ماذا فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العامَ ؟ فيقولون : وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعا ، ووجدنا فلانا مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون على الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ، ووجدنا فلاناً راكعاً ، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تاليا لكتاب الله . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتى يصعدون إلى السماء الثانية ، ففى كل سماء يوم وليلة ، حتى ينتهوا مكانهم من (٥) سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : يا سكانى ، حدثونى عن الناس وسموهم لى . فإن لى عليكم حقاً ، وإنى أحبُّ من أحبَّ الله . فذكر كعب أنهم يَعدُّون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول : أخبرنى بما أخبرك (٦) سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، اللهم عجِّلهم إلىَّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه الله فيقول : وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له . فيغفر له ، فيسمعُ جبريلُ جميعَ حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، ومغفرته (٧) لفلان ، ويقول(٨) : يا رب ، وجدت عبدك فلاناً الذى وجدته عام أول على السُنّة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثاً وتولى عما أمر به . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعتبنى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل: لك الحمد إلهى ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسموات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصى الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة « ليلة القدر » [ولله الحمد والمنة] (٩)

(١) فى م : « ملكا ملكا » .
(٢) فى أ : « فإذا استووا » .
(٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « عن رجل عن رجل وعن امرأة عن امرأة » .
(٥) فى أ : « فى » .
(٦) فى أ : « بما أخبروك » .
(٧) فى م : « ومغفرة » .
(٨) فى أ : « ويقولون » .
(٩) زيادة من م .

٩٧ ـ سورة القدر

(مكية وهى خمس آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ٩٧ القدر

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ٩٧ القدر

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ٩٧ القدر

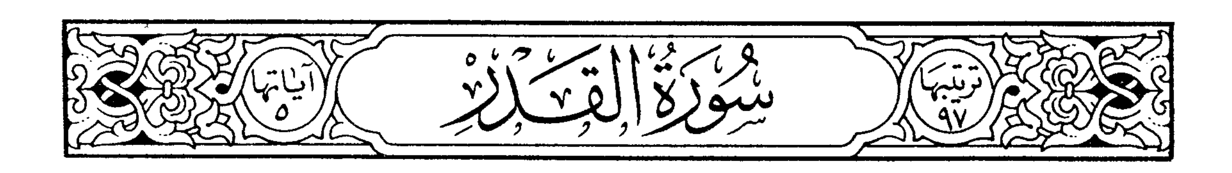
﴿سورة القدر مكية مختلف فيها وآيها خمس﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله
بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر فى جميع الأذهان وبإسناد إنزاله إلى
٢ نون العظمة المنبىء عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما
فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لايدريها ولا يدريها إلا علام الغيوب
٣ كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فإنه بيان إجمالى لشأنها إثر تشويقه عليه السلام
إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدرائها وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفى إظهار ليلة القدر
فى الموضعين من تأكيد التفخيم مالا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء الدنيا كما روى أنه
أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على
السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوماً فى ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها
كما نقل عن الشعبى وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها كما فى قول عمر رضى الله عنه خشيت
أن ينزل فى قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لأنا أحقر فى نفسى من أن ينزل فى قرآن فالأنسب أن
يجعل الضمير حينئذ للسورة التى هى جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها
فى شهر رمضان فى العشر الأواخر فى أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر فى إخفائها
تعريض من يريدها للثواب الكثير بإحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير
الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص
الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس
السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير
من مدة ذلك الغازى وقيل إن رجلا فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا

تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ٩٧ القدر

سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ٩٧ القدر

ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته نخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل مابلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وقوله
٤ تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق فى
سورة النبأ ماقيل فى شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة
أى تتنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا (بإذن ربهم) *
متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين بإذن ربهم أى بأمره (من كل أمر) أى من *
أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرىء
٥ من كل امرىء أى من أجل كل إنسان قيل لا يلقون فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه (سلام
هى) أى ماهى إلا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما فى غيرها فيقضى سلامة
وبلاء أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه *
وقرىء بالكسر على أنه مصدر كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر فى الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر .



قال أبو حيان مدنية في قول الأكثر، وحكى الماوردي عكسه، وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة. وقال الجلال في الاتقان: فيها قولان والأكثر على أنها مكية، ويستدل لكونها مدنية بما أخرجه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ أُري بني أمية على منبره فساءه ذلك. فنزلت ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] ونزلت ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] الحديث وهو كما قال المزني حديث منكر انتهى. وقد أخرج الجلال هذا الحديث في الدر المنثور عن ابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل أيضاً من رواية يوسف بن سعد، وذكر فيه أن الترمذي أخرجه وضعفه، وأن الخطيب أخرج عن ابن عباس نحوه وكذا عن ابن المسيب بلفظ قال نبي الله ﷺ: «أُريت بني أمية يصعدون منبري فشق ذلك عليَّ» فأنزلت ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ففي قول المزني هو منكر تردد عندي وأيًّا ما كان فقد استشكل وجه دلالته على كون السورة مدنية وأجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك لقوله فيه على منبره. والظاهر أن يكون المنبر موجوداً زمن الرؤيا وهو لم يتخذ إلاّ في المدينة وآيها ست في المكي والشامي وخمس فيما عداهما. وجاء في حديث أخرجه محمد بن نصر عن أنس مرفوعاً «أنها تعدل ربع القرآن» وذكر غير واحد من الشافعية أنه يسن قراءتها بعد الوضوء. وقال بعض أئمتهم ثلاثاً ووجه مناسبتها قبلها أنها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم فيه كأنه قيل: اقرأ القرآن لأن قدره عظيم وشأنه فخيم. وقال الخطابي: المراد بالكتابة في قوله تعالى فيها ﴿إنا أنزلناه﴾ الإشارة إلى قوله تعالى ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١] ولذا وضعت بعد وارتضاه القاضي أبو بكر بن العربي وقال: هذا بديع جداً والظاهر أنه أراد أن الضمير المنصوب. في ذاك لاقرأ الخ على ما ستسمعه إن شاء الله تعالى. وكونه أراد أنه للمقروء المفهوم من اقرأ فيكون في معنى رجوعه للقرآن خلاف الظاهر فلا تغفل.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾ الضمير عند الجمهور للقرآن وادعى الإمام فيه

إجماع المفسرين وكأنه لم يعتد بقول من قال منهم برجوعه لجبريل عليه السلام أو غيره لضعفه، قالوا: وفي التعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدم ذكره تعظيم له أي تعظيم لما أنه يشعر بأنه لعلو شأنه كأنه حاضر عند كل أحد فهو في قوة المذكور وكذا في إسناد إنزاله إلى نون العظمة مرتين وتأكيد الجملة. وأشار الزمخشري إلى إفادة الجملة اختصاص الإنزال به سبحانه بناء على أنها من باب أنا سعيت في حاجتك مما قدم فيه الفاعل المعنوي على الفعل، وتعقب بأن ما ذكروه في الضمير المنفصل دون المتصل كما في اسم إن هنا نعم الاختصاص يفهم من سياق الكلام. وفيه أنهم لم يصرحوا باشتراط ما ذكر في تفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ لما فيه من الدلالة على أن علوها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يعلم ذلك ولا يعلم به إلاّ علام الغيوب كما يشعر به قوله سبحانه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فإنه بيان إجمالي لشأنها أثر تشويقه عليه الصلاة والسلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بادرائها. وعن سفيان بن عيينة أن كل ما في القرآن من قوله تعالى ﴿ما أدراك﴾ [الانفطار: ١٧ وغيرها] أعلم الله تعالى به نبيه ﷺ وما فيه من قوله سبحانه ﴿وما يدريك﴾ [الأحزاب: ٦٣، الشورى: ١٧، عبس: ٣] لم يعلمه عز وجل به. وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التعظيم والتفخيم ما لا يخفى. والمراد بإنزاله فيها إنزاله كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فقد صح عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم. وكان الله تعالى ينزله على رسوله ﷺ بعضه في أثر بعض. وفي رواية بدل وكان بمواقع الخ ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، وفي رواية أخرى عنه أيضاً أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء ونزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم. وفي أخرى أنه أنزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام. وكون النزول بعد في عشرين سنة قول لهم وقال بعضهم وهو الأشهر في ثلاث وعشرين. وقال آخر: في خمس وعشرين وهذا للخلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد البعث. وقال الشعبي: المراد ابتدأنا بإنزاله فيها. والمشهور أن أول ما نزل من الآيات ﴿اقرأ﴾ وأنه كان نزولها بحراء نهاراً. نعم في البحر روى أن نزول الملك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان، فإن صح وكان المراد كان ليلاً فذاك وإلاّ فظاهر كلام الشعبي غير مستقيم اللهم إلاّ أن يقال إنه أراد ابتداء إنزاله إلى السماء الدنيا فيها ولا يلزم أن يتحد ذلك، وابتداء إنزاله عليه ﷺ في الزمان ثم إن في ﴿أنزلناه﴾ على ما ذكر تجوزاً في الإسناد لأنه أسند فيه ما للجزء إلى الكل أو مجازاً الطرف أو تضميناً. وقيل: المراد إنزاله من اللوح إلى السماء الدنيا مفرقاً في ليالي قدر على أن المراد بليلة الجنس فقد قيل إن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، وكان ينزل في كل ليلة ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل السنة ثم ينزله سبحانه منجماً في جميع السنة. وهذا القول ذكره الإمام احتمالاً ونقله القرطبي كما قال ابن كثير عن مقاتل لكنه مما لا يعول عليه، والصحيح المعتمد عليه كما قال ابن حجر في شرح البخاري أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا بل حكى بعضهم الإجماع عليه. نعم لا يبعد القول بأن السفرة هناك نجموه لجبريل عليه السلام في الليالي المذكورة. وأجاب السيد عيسى الصفوي بأنه محذور في ذلك بناء على جواز مثل أتكلم مخبراً به عن التكلم بقولك أتكلم، وفي ذلك اختلاف بين الدواني وغيره ذكره في رسالته التي ألفها في الجواب عن مسألة الحذر الأصم، أو يقال يرجع الضمير للقرآن باعتبار جملته وقطع النظر عن أجزائه فيخبر عن الجملة بإنّا أنزلناه وإن كان من جملته ﴿إنا أنزلناه﴾ المندرج في جملته من غير

نظير له بخصوصه. وقد ذكروا أن الجزء من حيث هو مستقل مغاير له من حيث هو في ضمن الكل وفي الاتقان عن أبي شامة فإن قلت إنا أنزلناه إن لم يكن من جملة القرآن الذي نزل جملة فما نزل جملة، وإن كان من الجملة فما وجه هذه العبارة؟ قلت لها وجهان أحدهما أن يكون المعنى إنّا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر وقضينا به وقدّرناه في الأزل والثاني أن لفظ أنزلناه ماض ومعناه على الاستقبال أي تنزله جملة في ليلة القدر انتهى. ولم يظهر لي في كلا وجهيه رحمه الله تعالى شامة حسن فأجل في ذلك نظراً فلعلك ترى. وقيل المعنى: إنّا أنزلناه في فضل ليلة القدر أو في شأنها وحقها، فالكلام على تقدير مضاف أو الظرفية مجازية كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه: خشيت أن ينزل فيّ قرآن، وقول عائشة رضي الله تعالى عنها: لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل فيّ قرآن. وجعل بعضهم في ذلك للسببية والضمير قيل للقرآن بالمعنى الدائر بين الكل والجزء. وقيل بمعنى السورة ولا يأباه كون إنا أنزلناه فيها لما مر آنفاً فلا حاجة إلى أن يقال المراد بها ما عدا ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقيل: يجوز أن يراد به المجموع لاشتماله على ذلك وأيًّا ما كان فحمل الآية على هذا المعنى غير معول عليه وإنما المعول عليه ما تقدم. والمراد بالإنزال إظهار القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهادة أو إثباته لدى السفرة هناك أو نحو ذلك مما لا يشكل نسبته إلى القرآن.

واختلفوا في تلك الليلة فقيل إنها لخبر في ذلك وهو كما قال الكرماني غلط لأن آخر الخبر يرده والمراد برفع تعيينها فيه. وعن عكرمة أنها ليلة النصف من شعبان وهو قول شاذ غريب كما في تحفة المحتاج. وظاهر ما هنا مع ظاهر قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] يرده وعن ابن مسعود أنها تنتقل في ليالي السنة فتكون في كل سنة في ليلة، ونسبه النووي إلى أبي حنيفة وصاحبيه والأكثرون على أنها في شهر رمضان. فعن ابن رزين أنها الليلة الأولى منه. وعن الحسن البصري السابعة عشرة لأن وقعة بدر كانت في صبيحتها. وحكي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً وعن أنس مرفوعاً التاسعة عشرة. وحكي موقوفاً على ابن مسعود أيضاً وعن محمد بن إسحاق الحادية والعشرون لما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري أنه عليه الصلاة والسلام قال: «قد رأيت هذه الليلة ـ يعني ليلة القدر ـ ثم نسيتها، وقد رأيتني أسجد من صبيحتها في ماء وطين». قال أبو سعيد: فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فأبصرت عيناي رسول الله على جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين. وفي مسلم من صبيحة ثلاث وعشرين، ومنه مع ما قبله مال الشافعي عليه الرحمة إلى أنها الليلة الحادية أو الثالثة والعشرون. وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها الليلة» وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين. وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير وغيرهم عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين». وفي الإتقان وغيره أنها الليلة التي أنزل فيها القرآن. وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال: كان عمر وحذيفة وناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين. وأخرج ابن نصر وابن جرير في تهذيبه عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوا ليلة القدر في آخر ليلة من رمضان». وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً أنه آخر ليلة. وقيل: هي في العشر الأوسط تنتقل فيه قيل في أوتاره وقيل في أشفاعه. وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان». وفي حديث أخرجه أحمد وجماعة عن عبادة ابن الصامت مرفوعاً وحديثين أخرجهما ابن جرير وغيره

عن جابر بن سمرة وعن عبد الله بن جابر كذلك ما يدل على ما ذكر أيضاً بل الأخبار الصحيحة الدالة عليه كثيرة، وبالجملة الأقوال فيها مختلفة جداً إلا أن الأكثرين على أنها في العشر الأواخر لكثرة الأحاديث الصحيحة في ذلك، وأكثرهم على أنها في أوتارها لذلك أيضاً وكثير منهم ذهب إلى أنها الليلة السابعة من تلك الأوتار. وصح من رواية الإمام أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم أن زر بن حبيش سأل أبيّ بن كعب عنها فحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين فقال له: بم تقول ذلك يا أبا المنذر؟ فقال: بالآية والعلامة التي قال رسول الله ﷺ «إنها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع» وبعض الأخبار عن ابن عباس ظاهرة في ذلك، وفي بعض الاستئناس له بما يدل على جلالة شأن السبعة التي قالوا فيها إنها عدد تام من كون السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والأيام سبعاً والجمار سبعاً والطواف بالبيت سبعاً والسجود على سبع إلى غير ذلك مما ذكره لما علمت من الأخبار الصحيحة المتضافرة وهو زمان ضعف البدن وفيه يزيد أجر العمل ووقت قوة الاستعداد للتجليات لمزيد التصفية وأنها في الأوتار أرجى للأحاديث أيضاً مع أن الله تعالى وتر يحب الوتر. وقال ابن حجر الهيتمي: اختار جمع أنها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الأواخر بل تنتقل في لياليه فعاماً أو أعواماً تكون وتراً إحدى أو ثلاثاً أو غيرهما، وعاماً أو أعواماً تكون شفعاً اثنتين أو أربعاً أو غيرهما قالوا: ولا تجتمع الأحاديث المتعارضة فيها إلاّ بذلك. وكلام الشافعي رضي الله تعالى عنه في الجمع بين الأحاديث يقتضيه انتهى. ولا يخفى أن الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها مطلقاً مما لا يتسنى وإنما يتسنى الجمع بذلك بين الأحاديث المتعارضة فيها بالنظر إلى العشر، وقيل في الجمع مطلقاً أنها تنتقل وما صح من التعيين في الجملة أو على التحقيق محمول على ليلة قدر في شهر رمضان مخصوص بأن يكون قد علم ﷺ أنها في أول شهر رمضان فرض ليلة كذا. فقال عليه الصلاة والسلام: «هي ليلة كذا». أي في هذا الشهر رمضان المخصوص، وعلم عليه الصلاة والسلام أنها في شهر رمضان بعده ليلة كذا غير تلك الليلة التي ذكرها قبل فقال ﷺ: «هي ليلة كذا» وعلم ﷺ أنها في آخره في العشر الأخير منه فقال: «هي في العشر الأخير» أي من هذا الشهر المخصوص وهكذا وهو كما ترى. وعلى القول بانتقالها ادعى بعضهم أنه إذا كان أول الشهر ليلة كذا فهي الليلة السابعة والعشرون، وإن كانت ليلة كذا فهي الليلة الحادية والعشرون إلى آخر ما قال. وقد ذكرناه مع نظمه في الطراز المذهب وليس في ذلك ما يقوم حجة على الغير.

وفي بعض الأخبار ذكر علامات لها ففي حديث الإمام أحمد والبيهقي وغيرهما عن عبادة بن الصامت من أماراتها أنها ليلة بلجة صافية ساكنة لا حارة ولا باردة كأن فيها قمراً ساطعاً، لا يرمى فيها بنجم حتى الصباح. وأخرج نحواً منه ابن جرير في تهذيبه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله مرفوعاً وحمل ذلك إن صح على ليلة قدر من شهر رمضان مخصوص كالمتعين لعدم اطراده ولا أغلبيته فيما يظهر والحكمة في إخفائها أن يجتهد من يطلبها في العبادة في غيرها ليصادفها كأن يحيي ليالي شهر رمضان كلها كما كان دأب السلف، وللإمام في هذا المقام كلام يجلّ مثله عن التكلم بمثله ولعمري لقد سها فيه سهواً بيناً وأتى فيه بما يوشك أن يدل على جهله ومعنى ليلة القدر ليلة التقدير وسميت بذلك لما روي عن ابن عباس وغيره أنه يقدر فيها ويقضي ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى السنة القابلة، والمراد إظهار تقديره تعالى ذلك للملائكة عليهم السلام المأمورين بالحوادث الكونية وإلاّ فتقديره تعالى جميع الأشياء أزلي قبل خلق السماوات والأرض لكن قال بعض الأجلّة كون التقدير في هذه الليلة يشكل عليه قول كثير أنه ليلة النصف من شعبان

وهي المراد بالليلة، والمباركة التي قال الله تعالى فيها ﴿فيه يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] وأجاب بأن ها هنا ثلاثة أشياء الأول نفس تقدير الأمور أي تعيين مقاديرها وأوقاتها، وذلك في الأزل، والثاني إظهار تلك المقادير للملائكة عليهم السلام بأن تكتب في اللوح المحفوظ وذلك في ليلة النصف من شعبان، والثالث إثبات تلك المقادير في نسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبرات فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى جبريل عليه السلام، ونسخة الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام، ونسخة المصائب إلى ملك الموت وذلك في ليلة القدر. وقيل يقدر في ليلة النصف الآجال والأرزاق، وفي ليلة القدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة. وقيل: يقدر في هذه ما يتعلق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين وفي ليلة النصف يكتب أسماء من يموت ويسلم إلى ملك الموت والله تعالى أعلم بحقيقة الحال. وقال الزهري: المعنى ليلة العظمة والشرف من قولهم: رجل له قدر عند فلان أي منزلة وشرف. وسميت بذلك لأن من أتى بفعل الطاعات فيها صار ذا قدر وشرف عند الله عز وجل أو لأن الطاعات لها فيها ذلك. وقيل لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر بواسطة ملك ذي قدر على رسول الله ذي قدر لأمة ذات قدر. وقيل لأنه يتنزل فيها ملائكة ذوات قدر. وقال الخليل بن أحمد: المعنى ليلة الضيق من قدر عليه رزقه ضيق وسميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة عليهم السلام وخيريتها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الأكثرين على معنى أن العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، ولا يعلم مقدار خيريتها منها إلاّ هو سبحانه وتعالى وهذا تفضل منه تعالى وله عز وجل أن يخص ما شاء بما شاء، ورب عمل قليل خير من عمل كثير. ولا ينافي هذا قاعدة أن كل ما كثر وشق كان أفضل لخبر مسلم أنه ﷺ قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: «أجرك على قدر نصبك» لأنها أغلبية على ما قال غير واحد، ولا شك أن العمل القليل قد يفضل الكثير باعتبار الزمان وباعتبار المكان وباعتبار كيفية الأداء كصلاة واحدة أديت بجماعة فإنها تعدل خمساً وعشرين مرة صلاة مثلها أديت على الانفراد إلى غير ذلك. نعم هذه الأفضلية قد تعقل في بعض وقد لا كما فيما نحن فيه ولا حجر على الله عز وجل ولا يعلم ما عنده سبحانه إلاّ هو جل شأنه. وتخصيص الألف بالذكر قيل إما للتكثير كما في قوله تعالى ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ [البقرة: ٩٦] وكثيراً ما يراد بالأعداد ذلك. وفي البحر حكاية أن المعنى عليه خير من الدهر كله، أو لما أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأنزل الله تعالى السورة. وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله تعالى ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون، فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة فقد أنزل الله تعالى عليك خيراً من ذلك. فقرأ عليه ﴿إنا أنزلناه﴾ الخ ثم قال: هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك منه فسرّ بذلك رسول الله ﷺ. وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد. وقال أبو بكر الوراق: كان ملك كل من سليمان وذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما، وفي هذا نظر لأنه إن أريد بذي القرنين الأول فهو على القول به قد ملك أكثر من ذلك بكثير، وإن أريد به الثاني أعني قاتل دارا فهو قد ملك أقل من ذلك بكثير. وقيل: أري ﷺ أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف عليه

الصلاة والسلام أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وذكره الإمام مالك في الموطأ وقد سمعت ما يدل على أن الألف إشارة إلى ملك بني أمية وكان على ما قال القاسم بن الفضل ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص يوم على ما قيل ثمانين سنة وهي ألف شهر تقريباً لأنها ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر، ولا يعكر على ذلك ملكهم في جزيرة الأندلس بعد لأنه ملك يسير في بعض أطراف الأرض وآخر عمارة العرب ولذا لم يعد من ملك منهم هناك من خلفائهم. وقالوا بانقراضهم بهلاك مروان الحمار. وطعن القاضي عبد الجبار في كون الآية إشارة لما ذكر بأن أيام بني أمية كانت مذمومة أي باعتبار الغالب فيبعد أن يقال في شأن تلك الليلة إنها خير من ألف شهر مذمومة:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف خير من العصا

وأجيب بأن تلك الأيام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يبعد أن يقول الله تعالى: أعطيتك ليلة في السعادات الدينية أفضل من تلك في السعادات الدنيوية فلا تبقى فائدة، واختلف في أن تلك الليلة تستتبع يومها أم لا. فقال الشعبي: نعم يومها مثلها، وقيل لعل الوجه فيه أن ذكر الليالي يستتبع الأيام ومنه إذا نذر اعتكاف ليلتين لزمتاه بيوميهما والكثير لا لكن قيل يسن الاجتهاد في يومها كما يسن فيها. ولذا جاء في وصفها أن الشمس تطلع صبيحتها وليس لها شعاع كما تقدم أي لعظم أنوار الملائكة الصاعدين والنازلين فيها فإنه لا فائدة فيه سوى معرفة يومها ولا فائدة فيها لو لم يسن الاجتهاد فيه. ومنع بأنه يجوز أن تكون الفائدة معرفتها نفسها ليجتهد فيها من قابل بناء على أنها لا تنتقل، وظاهر الآية أنها أفضل من ليلة الجمعة والمسألة خلافية وأكثر الأئمة على أنها أفضل منها للآية، ولأن الله تعالى أنزل فيها القرآن وهو هو ولم ينزله في غيرها، ولأنه سبحانه أمر بطلبها. فعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] ليلة القدر ولأنه عز وجل جعلها ليلة الفرق والحكم فقال جل شأنه ﴿فيه يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] وسماها جل وعلا ليلة القدر أي التقدير ولما روي عن كعب أنه قال: إن الله تعالى اختار الساعات فاختار ساعات أوقات الصلاة، واختار الأيام فاختار يوم الجمعة، واختار الشهور فاختار شهر رمضان، واختار الليالي فاختار ليلة القدر فهي أفضل ليلة في أفضل شهر، ولأنه ﷺ حثّ على العمل فيها فقد صح: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». وفي رواية «وما تأخر» ونهى عليه الصلاة والسلام أن يخص ليلة الجمعة بقيام ويومها بصيام ولأنه سبحانه وتعالى أخفاها ولم يعينها كما أخفى سبحانه أعظم أسمائه عز وجل، وكما أخفى جل شأنه أفضل الصلوات وهي الصلاة الوسطى إلى غير ذلك. وذهب أكثر الحنابلة كأبي الحسن الجزري وعبد الله بن بطة وأبي حفص البرمكي وغيرهم إلى أن ليلة الجمعة أفضل لما أخرج مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يغفر الله تعالى ليلة الجمعة لأهل الإسلام أجمعين، وهذه فضيلة لم تجيء لغيرها». ونحوه ما روي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ليلة جمعة إلاّ وينظر الله تعالى إلى خلقه ثلاث مرات فيغفر لمن لا يشرك بالله تعالى شيئاً ولأنه روى ابن بشكوال في كتابه القربة إلى رب العالمين بسنده إلى عمر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال: «اكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغرّاء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة» والغرة من الشيء خياره ولأنه قد روى كثيرون منهم الإمام أحمد أن يومها سيد الأيام وأعظمها وأعظم عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى، وصحح ابن حبان خبر: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة». فهي لذلك سيدة الليالي وأعظمها وأفضلها ولأنها معينة

مشهودة يشهدها الخاص والعام من ذكر وأنثى وصغير وكبير بصير وضرري، وتصل بركتها إلى الأحياء والأموات وليلة القدر غير معينة فلا ينتفع بها إلاّ قليل إلى غير ذلك. وأجاب هؤلاء عن الآية بأنه لما أريد فيها أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر كما قال قتادة وغيره فليرد أيضاً أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة جمعة، ويدل للأمرين أن أكثر أسباب النزول السابقة تدل على أن المراد بالشهور شهور من تقدمنا وهي ليس فيها ليلة قدر ولا ليلة جمعة. وعن سائر المستندات بأن بعضها معارض وبعضها لا يدل على أكثر من فضلها وهو ما لم ينكره أحد والأولون أجابوا عن مستنداتهم بنحو ما أجابوا وللتعارض قال أحمد بن الحسين بن يعقوب بن قاسم المقري من الحنابلة: إن القولين في المسألة قولان شائعان بين الأصحاب ولكل دلائل تدل على صوابيته فلا ينبغي لأحد أن يطلق الخطأ على قائل كل منهما، وأنت بعد التأمل في أدلة الطرفين والوقوف على أحوالها يتعين عندك أفضلية ليلة القدر وتعين ليلة الجمعة، وها هنا قول متوسط بين القولين حكى القاضي أبو يعلى أن أبا الحسن التميمي من الحنابلة أيضاً كان يقول: ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن أفضل من ليلة الجمعة لما حصل فيها من الخير الكثير الذي لم يحصل في غيرها، فأما أمثالها من ليالي القدر فليلة الجمعة أفضل منها، وقيل نظيره في ليلة المعراج مع ليلة الجمعة ونحوها. ثم إن ظاهر كلام بعض الحنفية كصاحب الجوهرة أن ليلة النحر أفضل من ليلة القدر وسائر ليالي السنة، ويرد عليه ظاهر الآية أيضاً ولعله يجيب بنحو ما سبق آنفاً. ونقل الطحاوي عليه الرحمة في حواشي المختار عن بعض الشافعية أن أفضل الليالي ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ثم ليلة القدر ثم ليلة الإسراء والمعراج ثم ليلة عرفة ثم ليلة الجمعة ثم ليلة النصف من شعبان ثم ليلة العيد وأنا لا أرى أن له ما يعول عليه في ذلك والله تعالى أعلم وما أشير إليه من كونها من خصائص هذه الأمة هو الذي يقتضيه أكثر الأخبار الواردة في سبب النزول وصرح به الهيتمي وغيره. وقال القسطلاني: إنه معترض بحديث أبي ذر عند النسائي حيث قال فيه: يا رسول الله أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رفعت؟ قال: «بل هي باقية». ثم ذكر أن عمدة القائلين بذلك الخبر الذي قدمناه في سبب النزول من رؤيته ﷺ تقاصر أعمار أمته عن أعمار الأمم وتعقبه بقوله: هذا محتمل للتأويل فلا يدفع الصريح في حديث أبي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري انتهى. والحق الأول والصراحة في حيّز المنع. وقد أخرج الديلمي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى وهب لأمتي ليلة القدر لم يعطها من كان قبلهم». فتأمل ولا تغفل.

وقوله تعالى ﴿**تَنَزَّلُ الملائِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا**﴾ استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المديدة فضمير فيها لليلة وزعم بعضهم أن الجملة صفة لألف شهر والضمير لها وليس بشيء، وجوّز بعضهم كون الضمير للملائكة على أن ﴿**الروح**﴾ مبتدأ لا معطوف على ﴿**الملائكة**﴾ و ﴿**فيها**﴾ خبره لا متعلق بـ ﴿**تنزّل**﴾ والجملة حال من ﴿**الملائكة**﴾ وهو خلاف الظاهر. والروح عند الجمهور هو جبريل عليه السلام، وخص بالذكر لزيادة شرفه مع أنه النازل بالذكر. وقيل ملك عظيم لو التقم السماوات والأرض كان ذلك له لقمة واحدة، وذكر في التيسير من وصفه ما يبهر العقول والله تعالى أعلم بصحة الخبر. وقال كعب ومقاتل: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلاّ تلك الليلة كالزهاد الذين لا نراهم إلاّ يوم العيد أو الجمعة. وقيل: حفظة على الملائكة كالملائكة الحفظة علينا. وقيل: خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الإنس ويخلق ما لا تعلمون وما يعلم جنود ربك إلا هو ولعلهم على ما قيل خدم أهل الجنة.

وقيل: هو عيسى عليه السلام ينزل لمطالعة هذه الأمة وليزور النبي ﷺ وقيل: أرواح المؤمنين ينزلون لزيارة أهليهم. وقيل: الرحمة كما قرىء ﴿لا تيأسوا من روح الله﴾ [يوسف: ٨٧] بالضم وعلى الأول المعول والظاهر الذي تشهد له الأخبار أن التنزل إلى الأرض، فقيل: إن ذلك لما ذكر الله تعالى بعد وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام فيه وقيل ينزلون إليها للتسليم على المؤمنين. وقيل: لأن الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض فهم ينزلون إليها لتصير طاعاتهم أكثر ثواباً كما أن الرجل منا يذهب إلى مكة لتصير طاعته كذلك فيكون المقصود من الإخبار بذلك ترغيب الإنسان في الطاعة. وقال عصام الدين: يحتمل أن يكون تنزلهم لإدراكها إذ ليس في السماء ليل، والجملة حينئذ مقررة لما سبق لا مبينة لمناط الفضل وفيه نظر لا يخفى. وقيل غير ذلك مما سنشير إليه إن شاء الله تعالى. وقيل: المراد تنزلهم إلى السماء الدنيا وهو خلاف المتبادر وأنزل منه بكثير كون المراد بتنزلهم تنزلهم عن مراتبهم العلية من الاشتغال بالله تعالى والاستغراق بمطالعة جلاله عز وجل ليسلموا على المؤمنين. واستظهر أن المراد بالملائكة عليهم السلام جميعهم واستشكل بأن لهم كثرة عظيمة لا تتحملها الأرض وكذا السماء الدنيا لأنها قبل نزولهم مملوءة «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم». وأجيب بأنهم ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازل وصاعد كالحجاج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة مثلاً بأسرهم لكن لا على وجه الاجتماع بل هم بين داخل وخارج. وفي التعبير بتنزل المفيد للتدريج دون نزل رمز إليه وقيل إنهم لكونهم أنواراً لا تزاحم بينهم فالنور إذا ملأ حجرة مثلاً لا يمنع من إدخال ألف نور عليه وهو كما ترى. ومن الناس من خصّ الملائكة ببعض فرقهم وهم سكان سدرة المنتهى أو بعض منهم.

وفي الغنية للقطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ومعه سكان سدرة المنتهى سبعون ألف ملك، ومعهم ألوية من نور فإذا هبطوا إلى الأرض ركّز جبريل عليه السلام لواءه والملائكة عليهم السلام ألويتهم في أربعة مواطن عند الكعبة وقبر النبي ﷺ ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء، ثم يقول جبريل عليه السلام: تفرقوا فيتفرقون ولا يبقى دار ولا حجر ولا بيت ولا سفينة فيها مؤمن أو مؤمنة إلاّ دخلته الملائكة عليهم السلام إلاّ بيتاً فيه كلب أو خنزير أو خمر أو جنب من حرام أو صورة تماثيل فيسبحون ويقدسون ويهللون ويستغفرون لأمة محمد ﷺ حتى إذا كان وقت الفجر ثم يصعدون إلى السماء فيستقبلهم سكان سماء الدنيا فيقولون لهم: من أين أقبلتم؟ فيقولون: كنا في الدنيا لأن الليلة ليلة القدر لأمة محمد ﷺ، فيقول سكان السماء الدنيا: ما فعل الله تعالى بحوائج أمة محمد ﷺ؟ فيقول جبريل عليه السلام: إن الله تعالى غفر لصالحهم وشفعهم في طالحهم. فترفع ملائكة سماء الدنيا أصواتهم بالتسبيح والتقديس والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطى الله تعالى هذه الأمة من المغفرة والرضوان، ثم تشيعهم ملائكة السماء الدنيا إلى الثانية كذلك وهكذا إلى السابعة، ثم يقول جبريل عليه السلام: يا سكان السماوات ارجعوا. فيرجع ملائكة كل سماء إلى مواضعهم فإذا وصلوا إلى سدرة المنتهى يقول لهم سكانها: أين كنتم؟ فيجيبونهم مثل ما أجابوا أُهل السماوات، فيرفع سكان سدرة المنتهى أصواتهم بالتسبيح والتهليل والثناء فتسمع جنة المأوى ثم جنة النعيم وجنة عدن والفردوس، ويسمع عرش الرحمن فيرفع العرش صوته بالتسبيح والتهليل والثناء على رب العالمين شكراً لما أعطى هذه الأمة. ويقول: إلهي بلغني عنك أنك غفرت البارحة لصالحي أمة محمد ﷺ وشفعت

صالحها. فيقول الله عز وجل: صدقت يا عرشي ولأمة محمد عليه الصلاة والسلام عندي من الكرامة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وفي رواية عن كعب: نزول جميع ملائكة سدرة المنتهى مع جبريل عليهم السلام ولا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى وأن جبريل عليه السلام لا يدع أحداً من الناس إلاّ صافحه. وفي رواية لا يدع مؤمناً ولا مؤمنة إلاّ سلم عليه إلاّ مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران، وإن علامة مصافحته عليه السلام اقشعرار الجلد ورقة القلب ودمع العينين. وروي في نزوله مع الملائكة عليهم السلام وعروجه معهم غير ذلك، وقد ذكر بعضاً من ذلك الإمام وغيره ونسأل الله تعالى صحة الأخبار. وذكر بعضهم أن جبريل عليه السلام يقسم تلك الليلة ما ينزل من رحمة الله تعالى يستغرق أحياء المؤمنين فيقول: يا رب بقي من الرحمة كثير فما أصنع به؟ فيقول الله عز وجل: قسم على أموات أمة محمد ﷺ. فيقسم حتى يستغرقهم فيقول: يا رب بقي من الرحمة كثير فما أصنع به؟ فيقول سبحانه وتعالى قسمه على الكفار فيقسمه عليهم فمن أصابه منهم شيء من تلك الرحمة مات على الإيمان.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين بإذن ربهم أي بأمره عز وجل، والتقييد بذلك لتعظيم أمر تنزلهم. وقيل الإشارة إلى أنهم يرغبون في أهل الأرض من المؤمنين ويشتاقون إليهم فيستأذنون فيؤذن لهم وفيه نوع ترغيب في الاجتهاد في الطاعة. واستشكل أمر هذه الرغبة مع كثرة المعاصي، وأجيب بأنهم غير واقفين على تفاصيلها أو لم يعتبروها مانعة من ذلك لأنهم يرون من أنواع الطاعات ما لا يرونه في السماء، أو ليسمعوا أنين العصاة التائبين. ففي الحديث القدسي: «لأنين المذنبين أحب إليّ من زجل المسبحين». أو ليجتمعوا مع من بينه وبينهم مناسبة من الصديقين أداء لمراسم المحبة فإن أرواح الصديقين المتجردة عن جلابيب الأبدان لم تزل تزور الملائكة عليهم السلام في مواضعهم بعروجها إليهم، فناسب أن تزورهم ولملائكة عليهم السلام في زواياهم وإن اقتضى ذلك الاجتماع مع غيرهم ممن ليسوا كذلك فإنه أمر تبعي.

ولأجل عين ألف عين تكرم

﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي من أجل كل أمر تعلق به التقدير في تلك السنة إلى قابل، وأظهره سبحانه وتعالى لهم قاله غير واحد فمن بمعنى اللام التعليلية متعلقة بتنزل. قال عصام الدين: فإن قلت المقدرات لا تفعل في تلك الليلة بل في تمام السنة فلماذا تنزل الملائكة عليهم السلام فيها لأجل تلك الأمور؟ قلت: لعل تنزلهم لتعيين إنفاذ تلك الأمور لهم وتنزلهم لأجل كل أمر ليس على معنى تنزل كل واحد لأجل كل أمر، ولا تنزل كل واحد لأمر بل على معنى تنزل الجميع لأجل جميع الأمور حتى يكون في الكلام تقسيم العلل على المعلولات، انتهى. وأقول: يمكن أن يكون تنزلهم لإعداد القوابل لقبول ما أمروا به، وأشار بما ذكره من التقسيم إلى أنه يجوز أن يكون نزول الواحد منهم لعدة أمور وقولهم من أجل كل أمر تعلق الخ قد تقدم ما فيه من البحث فتذكر. وقال أبو حاتم :﴿مِن﴾ بمعنى الباء أي تنزل بكل أمر، فقيل: أي من الخير والبركة، وقيل: من الخير والشر. وجعلت الباء عليه للسببية فيرجع المعنى إلى نحو ما مرّ. ومنهم من جعلها للملابسة والمراد بملابستهم له ملابستهم للأمر به فكأنه قيل: تنزل الملائكة وهم مأمورون بكل أمر يكون في السنة، وكونهم يتنزلون وهم كذلك لا يستدعي فعلهم جميع ما أمروا به في تلك الليلة والظاهر على ما قالوا أن المراد بالملائكة المدبرات إذ غيرهم لا تعلق له في الأمور التي تعلق بها التقدير ليتنزلوا لأجلها على المعنى السابق

وهو خلاف ما تدل عليه الآثار من عدم اختصاصهم بالمدبرات فتدبر وكأنه لذلك قيل إن ﴿**من كل أمر**﴾ متعلق بقوله تعالى ﴿**سَلَامٌ**﴾ وهو مصدر بمعنى السلامة خبر مقدم. وقوله تعالى ﴿**هِيَ**﴾ مبتدأ أي هي سلام من كل أمر مخوف وتعلقه بذلك على التوسع في الظرف وإلاّ فمعمول المصدر لا يتقدم عليه في المشهور. وقيل: هو متعلق بمحذوف مقدم يفسره المذكور من وقف على كلام العلامة التفتازاني في أوائل شرح التلخيص في مثل ذلك استغن عما ذكر. وقيل ﴿**من كل أمر**﴾ متعلق بـ ﴿**تنزل**﴾ لكن على معنى تنزل إلى الأرض منفصلة من كل أمر لها في السماء وتاركة له. وفيه إشارة إلى مزيد الاهتمام بالتنزل إلى الأرض. وفيه من البعد ما فيه. وتقديم الخبر للحصر كما في تميمي أنا والأخبار بالمصدر للمبالغة أي ما هي إلاّ سالمة جداً حتى كأنه عين السلامة قال الضحاك في معنى ذلك إنه تعالى لا يقدّر ولا يقضي فيها إلاّ السلامة، قيل: أي لا ينفذ تقديره تعالى ويتعلق قضاؤه إلاّ بذلك. وحاصله لا يوجد إلاّ ذلك. وقال مجاهد: إنها سالمة من الشيطان وأذاه. وروي أن الشيطان لا يخرج في ليلة القدر حتى يضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر. ولعل ما يصدر من المعاصي على هذا من النفس الأمّارة بالسوء لا بواسطة الشيطان. واستشكل كلام الضحاك بناء على ما قيل فيه بأنه لا تخلو ليلة من الشر والأمر المخوف ولا موجد إلاّ الله عز وجل، فلعله أراد ما تقدم نقله غير بعيد من أن الله تعالى إنما يقدر في هذه الليلة السلامة والخير أي لا يظهر سبحانه للملائكة عليهم السلام إلاّ تقديره عز وجل وقيل ما هي إلاّ سلامة على نحو: ما رسول الله ﷺ إلاّ رحمة والمراد أنها سبب تام للسلامة والنجاة من المهالك يوم القيامة حيث إن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. وقيل السلام مصدر بمعنى التسليم أي ما هي إلاّ تسليم لكثرة التسليم والمسلمين من الملائكة على المؤمنين فيها. وروي ذلك عن الشعبي ومنصور وجعلها عين التسليم للمبالغة أيضاً.

وقوله تعالى ﴿**حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ**﴾ غاية تبين تعميم السلامة أو التسليم كل الليلة فالجار متعلق بـ ﴿**سلام**﴾ و﴿**مطلع**﴾ اسم زمان وقد صرحوا أنه من يفعل، ويفعل بفتح العين وضمها على مفعل مفتوح العين وجوز كونه مصدراً ميمياً بمعنى الطلوع ويحتاج إلى تقدير مضاف قبله هو وقت أو ما في معناه لتتحد الغاية والمغيا فيكونان من جنس واحد. وصح تعلق الجار بذلك مع الفصل لأنه ليس بمصدر نظراً للحقيقة. وأفاد الطبرسي وغيره أنه لا بد من تأويله بسالمة أو مسلمة ليصح التعلق أما لو أبقى على مصدريته فلا يصح للزوم الفصل بين الصلة والموصول. وذهب بعضهم إلى أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر، وجوز أن تتعلق الغاية بتنزل على معنى أنه لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى وقت طلوع الفجر، وتعقب بأنه تعسف لأن ﴿**سلام**﴾ هي أجنبي وليس باعتراض فلا يحسن الفصل به وجعله حالاً من الضمير المجرور في قوله تعالى ﴿**فيها**﴾ أي ذات سلامة أو سلام لا يخفى حاله. وقيل يجوز أن يكون الوقف على ﴿**سلام**﴾ وهو خبر لمحذوف و ﴿**من كل أمر**﴾ متعلق به و ﴿**هي**﴾ مبتدأ و ﴿**حتى مطلع الفجر**﴾ خبره. ولم يجوز ذلك الطيبي والطبرسي وغيرهما قالوا: لعدم الفائدة بالاخبار عنها بأنها حتى مطلع الفجر إذ كل ليلة بهذه الصفة. وأجيب بأنه لما أخبر عنها بأنها خير من ألف شهر وفهم أنها مخالفة لسائر الليالي في الصفة وكان ذلك مظنة توهم أن ذاتها في المقدار مغايرة لذوات الليالي فيه أيضاً دفع ذلك بقوله تعالى هي حتى مطلع الفجر، أي لم تخالف سائر الليالي في ذلك وإن خالفتها في الفضل والخيرية.

وقرأ ابن عباس وعكرمة والكلبي «من كل امرىء» بهمز في آخره أي تنزل من أجل كل إنسان أي من أجل ما يتعلق به مما قدر في تلك الليلة، ويرجع إلى نحو ما تقدم أو من أجل مصلحته من الاستغفار له ونحوه على أن المراد بذلك كل امرىء مؤمن على ما قيل. وقيل الجار متعلق بـ ﴿سلام﴾ والمراد «بكل امرىء» الملائكة عليهم السلام أي سلام وتحية هي على المؤمنين من كل ملك، وأنكر كما قال ابن جني هذه القراءة أبو حاتم وقرأ أبو رجاء والأعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وأبو عمرو بخلاف عنه «مَطْلِعِ» بكسر اللام على أنه مصدر كالمرجع ويقدر مضاف كما سمعت أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق فإن مفعلاً بالكسر قياس يفعل مكسور العين. وفي البحر قيل «مَطْلَع ومَطْلِع» بالفتح والكسر مصدران في لغة تميم. وقيل: المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز انتهى. وإرادة الموضع ها هنا لا موضع لها كما لا يخفى هذا. واعلم أنه يسن الدعاء في هذه الليلة المباركة وهي أحد أوقات الإجابة. وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». ويجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وغيرها. وقال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحبّ من الصلاة، ثم أفاد أنه إذا قرأ ودعا كان حسناً وكان ﷺ يجتهد في ليالي شهر رمضان ويقرأ فيها قراءة مرتلة لا يمر بآية رحمة إلاّ سأل ولا بآية عذاب إلاّ تعوذ. وذكر ابن رجب أن الأكمل الجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وقد كان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك كله لا سيما في العشر الأواخر ويحصل قيامها على ما قال البعض بصلاة التراويح. وأخرج البيهقي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى المغرب والعشاء في جماعة حتى ينقضي شهر رمضان فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر». وأخرج مالك وابن شيبة وابن زنجويه والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال: «من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها. وفي تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي عليه الرحمة يسن لرائيها كتمها ولا ينال فضلها أي كماله إلا من أطلعه الله تعالى عليها انتهى. والظاهر أنه عنى برؤيتها رؤية ما يحصل به العلم له بها مما خصت به من الأنوار وتنزل الملائكة عليهم السلام أو نحواً من الكشف المفيد للعلم مما لا يعرف حقيقته إلاّ أهله وهو كالنص في أنها يراها من شاء الله تعالى من عباده. وقال أبو حفص بن شاهين على ما حكاه ابن رجب: إن الله تعالى لم يكشفها لأحد من الأولين والآخرين ولا النبيين والمرسلين في يوم ولا ليلة إلاّ نبينا ﷺ فإنه لما أنزلها عليه وعرفه قدرها أراه عليه الصلاة والسلام إياها في منامه وعرفه في أي ليلة تكون فأصبح عالماً بها، وأراد أن يخبر بها الناس لسروره فتلاحى بين يديه رجلان فأنسيها ﷺ وأمر بطلبها في ليالي العشر الأواخر لأنهم لا يرونها مكاشفة أبداً ولا يراها أحد بعده ﷺ أصلاً فأمروا بذلك ليلتمس فضلها في الليالي المسماة انتهى. وحديث أنه ﷺ رآها ونسيها قد رواه الإمام مالك والإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم وهو مما لا تردد في صحته، لكن في دلالته على أنه لم يعلم عليه الصلاة والسلام بها ولم يرها بعد ولا يراها أحد من أمته ﷺ أبداً تردداً، ولعل الأمر بالتماسه في العشر الأواخر مثلاً يشير إلى رجاء رؤيتها فيها إذا ما لا يرجى في زمان أو مكان لا يحسن أن يؤمر أحد بالتماسها فيه عادة وفي بعض الأخبار ما يدل على أن رؤيتها مناماً وقعت لغيره ﷺ ففي صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» وحكي نحو قول ابن شاهين عن غيره أيضاً وغلط. ففي شرح الصحيح للنووي:

اعلم أن ليلة القدر موجودة وأنها ترى ويتحققها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه الأحاديث وأخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصى. وأما قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صفرة لا يمكن رؤيتها حقيقة فغلط فاحش نبهت عليه لئلا يغتر به انتهى.

بقي في الكلام على هذه الليلة بحث مهم وهو أنه على قول المعتبرين لاختلاف المطالع يلزم القول بتعددها في رمضان وكونها وتراً من لياليه عند قوم وشفعاً عند آخرين فلا يصح إطلاق القول بأحدهما وكذا لا يصح إطلاق القول بأنها ليلة كذا كليلة السابع والعشرين أو الحادي والعشرين مثلاً من الشهر على ذلك أيضاً. بل لا يصح إطلاق القول بأن وقت التقدير وتنزل الملائكة ليلة فالليلة عند قوم نهار في الجهة المسامتة لأقدامهم وهي قد تكون مسكونة ولو بواسطة سفينة تمر فيها، وربما يكون زمان الليل عند قوم بعضه ليلاً وبعضه نهاراً عند آخرين كأهل بعض العروض البعيدة عن خط الاستواء، بل قد تنقضي أشهر بليل ونهار على قوم ولم ينقض يوم واحد في بعض العروض بل لا يصح أيضاً إطلاق القول بأنها في رمضان وأنها الليلة الأولى أو الأخيرة منه إذ الشهر دخولاً وخروجاً مختلف بالنسبة إلى سكان البسيطة وأجاب بعض بالتزام أن ما أطلق من القول فيها ليس على إطلاقه فيكون القول بوتريتها بالنسبة إلى قوم وبشفعيتها بالنسبة إلى آخرين وهكذا القول بأنها ليلة كذا من الشهر وبالتزام أنها ليلة بالنسبة إلى قوم نهار بالنسبة إلى آخرين، وإن التعبير بالليلة لرعاية مكان المنزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام وغالب المؤمنين به كأن ما هو سمت أقدامهم مما ليلهم نهاره لم يعمر بالمسلمين بل لا يكاد يعمر بهم حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. وقال: إنها حيث كانت نهاراً عند قوم لا يبعد أن يعطي الله تعالى أجرها من اجتهد من غيرهم في ليلة ذلك النهار وأن يعطي سبحانه ذلك أيضاً من اجتهد منهم ليلاً وهي عندهم نهار وعلى نحو هذا يقال في الصور التي ذكرت في البحث. وادعى أن هذا نوع من الجمع بين الأحاديث المتعارضة وأن في قولهم يسن الاجتهاد في يومها رمز إما لشيء من ذلك وهو كما ترى. وأجاب آخر بما يستحي القلم من ذكره ويرى تركه هو الحري بقدره. وسمعت من بعض أحبابي أن الشيخ إسماعيل العجلوني عليه الرحمة تعرض فيما شرح من صحيح البخاري لشيء من هذا البحث والجواب عنه ولم أقف عليه، وعندي أن البحث قوي والأمر مما لا مجال لعقلي فيه ومثل ليل القدر فيما ذكر وقت نزوله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا من الليل كما صحت به الأخبار وكذا ساعة الإجابة من يوم الجمعة إلى أمثال أخر. وللشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى كلام طويل في الأول لم يحضرني منه الآن ما يروي الغليل، ولغيره كابن حجر كلام مختصر في الثاني وهو مشهور وربما يقال إنها لكل قوم ليلتهم وإن اختلفت دخولاً وخروجاً بالنسبة إلى آفاقهم كسائر لياليهم فتدخل الليلة مطلقاً في بغداد مثلاً عند غروب الشمس فيها وبعد نصف ساعة منه تدخل في إستامبول مثلاً وذلك أول وقت الغروب فيها وهكذا، والخروج على عكس ذلك فكأن الليلة راكب يسير إلى جهة فيصل إلى كل منزل في وقت ويلتزم أن تنزل الملائكة حسب سيرها ولا يبعد أن يتنزل عند كل قوم ما شاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم ويعرجون عند مطلع فجرها عندهم أيضاً أو يبقى المتنزل منهم هناك إلى أن تنقضي الليلة في جميع المعمورة فيعرجون معاً عند انقضائها ويلتزم القول بتعدد التقدير حسب السير أيضاً بأن يقدر الله تعالى في أي جزء شاء سبحانه منها بالنسبة إلى من هي عندهم أموراً تتعلق بهم، ومناط الفضل لكل قوم تحققها بالنسبة إليهم وقيامهم فيها ومثل هذه الليلة فيما ذكر سائر أوقات العبادة كوقت الظهر والعصر وغيرهما وهذا غاية ما يخطر بالبال فيما يتعلق

بهذا الإشكال وأمر ما يعكر عليه من أخبار الآحاد سهل على أن الكثير منها في صحته مقال فتأمل في ذاك والله عز وجل يتولى هداك. ثم إن ليلة القدر عند السادة الصوفية ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه وهي وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة، وما ألطف قول الشيخ عمر بن الفارض قدس سره:

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعة

هذا والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.